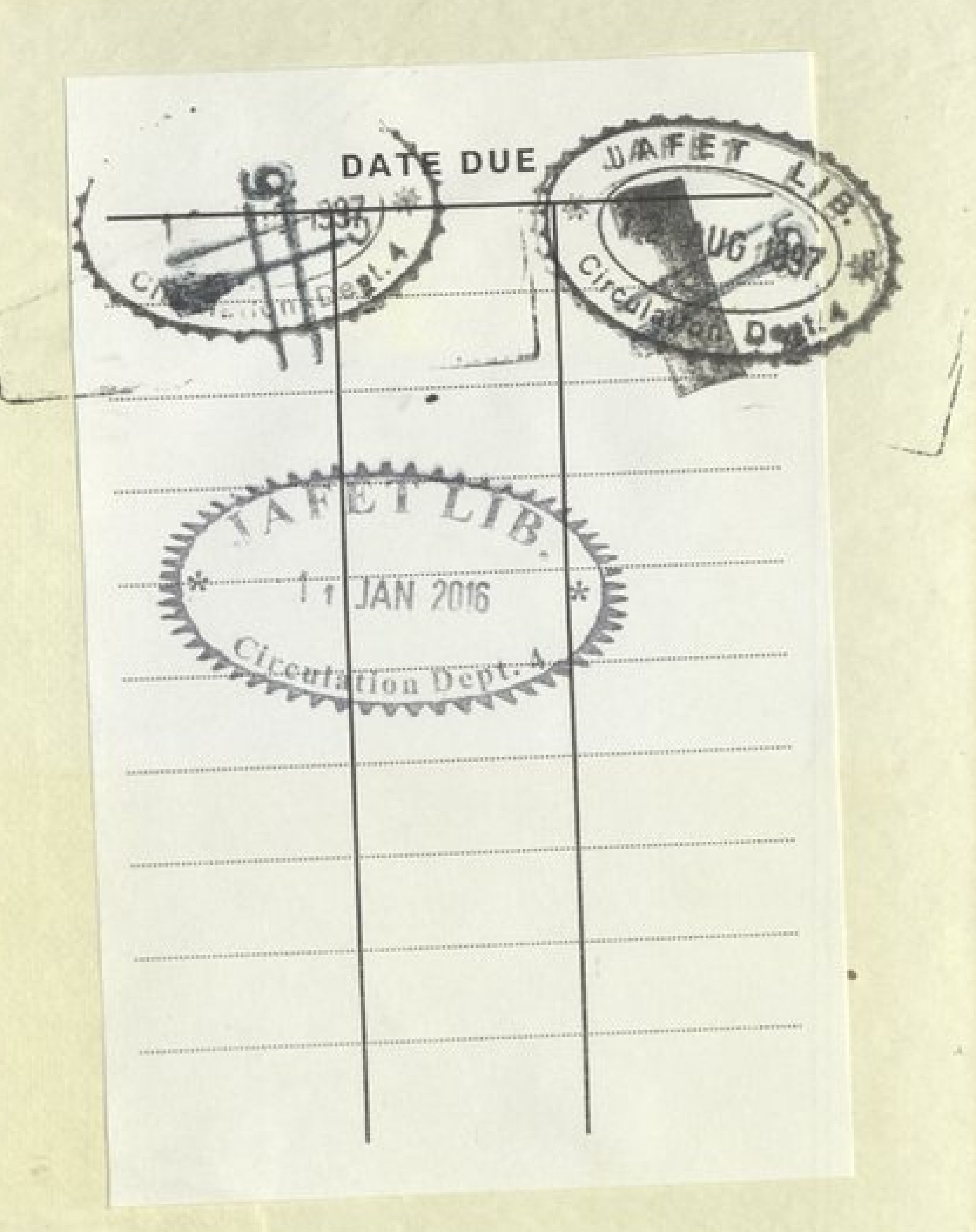
خميس

سوريا الصاعدة


DATE DUE
JAFET LIB.
12 AUG 1997
Circulation Dept. 4
JAFET LIB.
11 JAN 2016
Circulation Dept. 4





احمد شيخ خميس

سوريا الفتاة

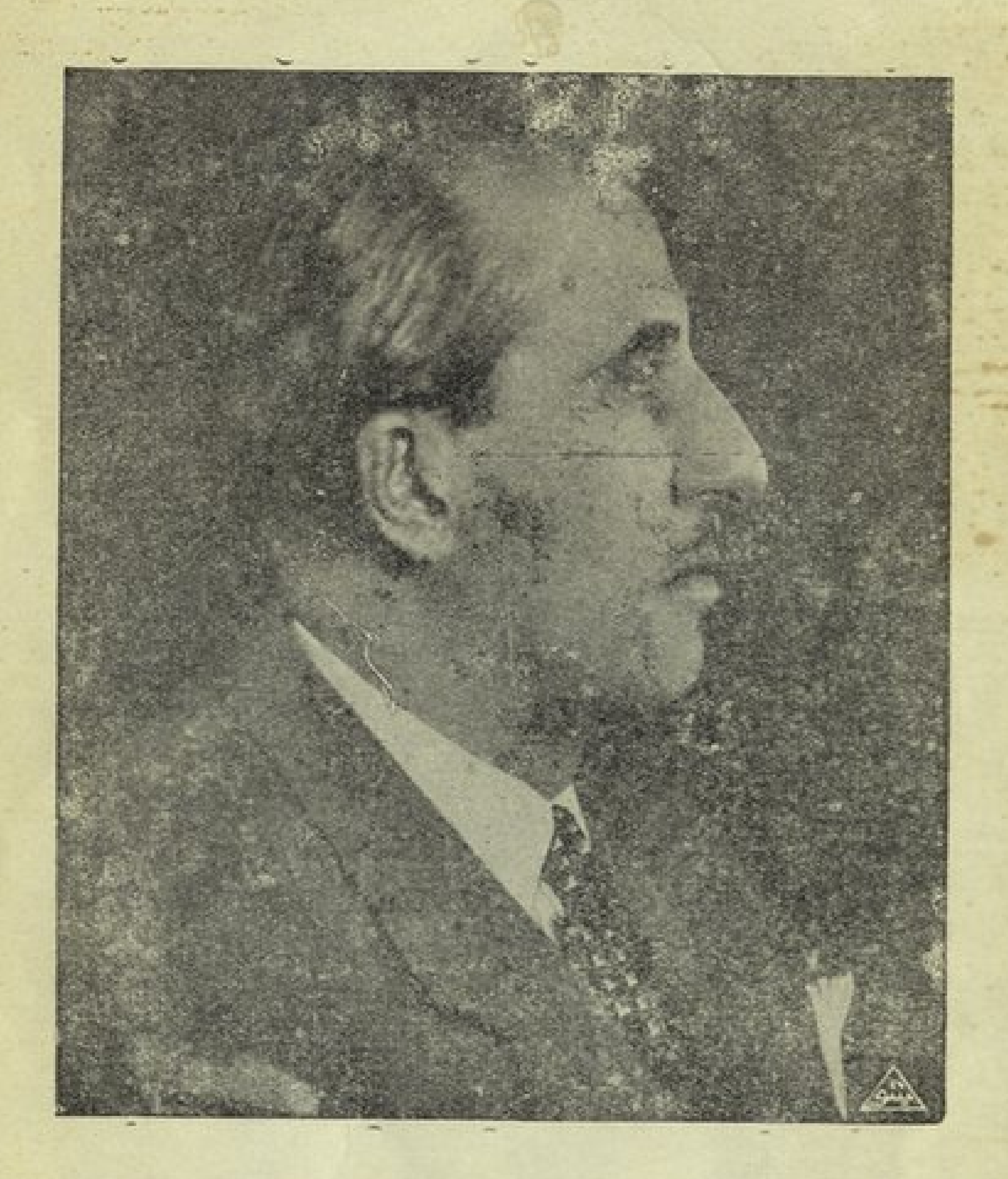
نقد وتوجيه



مطبعة الإرشاد اللاذقية

الفهرس

الاهداء



الى فخامة الرئيس السابق القطب الوطني الاول شكري القوتلي الافخم

الواضع : احمد شديخ خميس

= ايضاح وعرض =

ايضاح

قد يخيل للقارئ في اول وهلة يلقي بناظريه على اسم هذا الكتاب المتواضع سوريا الصاعدة ، ان مواضيعه ستكون خالية من فقرات النقد والتوجيه ، وقد يعذر هذا القارئ اذا ما احس بهذه المشاعر البعيدة عن واقع فصوله ، وزيادة في الايضاح في مجال تبرير تلك المعذرة اقول : لو انني كنت في محله لنظرت هذه النظرة ذاتها واحسست بهذا الاحساس نفسه حيال ما تضمنت صفحاته من سرد وتدبيج بسبب اسمه المسكوب فوق الغلاف ، لان مطلق قارئ في اي بلد من بلدان العالم الف مفهومه ان يلتقط البعض من معاني الموضوع بمجرد اطلاعه على عنوانه ، غير ان عذر الواضع او المؤلف واضح جلي اذا ما اراد الاسماء المختصرة لانتاجه الانساني وسواه

ولا ريب ان البداهة تفسر قائلة : ان اسماء وعناوين الكتب لا تمت باية صلة في معرض الشبه لعناوين المقالات الصحفية حيث ان المجال في الاخيرة ذو فسحة للترضيح وعلى العكس ان منطق التأليف استساغ الاختصار في وضع اسماء المؤلفات ، وقد اخذ بهذا المبدأ عموم المؤلفين في مختلف بقاع اليابسة باستثناء قلة منهم يسكبون على غلافات مؤلفاتهم فقرة او اكثر بغية اعطاء سانحة سريعة الى القارئ تساعده على تفهم مواضيع تلك المؤلفات ، الا ان اجتهاد تلك القلة المحترمة من هؤلاء المؤلفين والكتاب ما كان ولن يكون جديراً بالعناية والاخذ ما دام الانتاج بكليته بين يدي القارئ ، وفضلا عن ذلك ان الفهرس هو مرآة صافية وموضحة بجلاء كامل فصول الكتاب بل فقراته ، وبالتالي ان الذوق الطباعي آثر ان يكون الغلاف خلواً من كل كلمة باستثناء اسمي الكتاب والمؤلف ولا سيما ان تطور فن الطباعة في القرن العشرين قد وصل من حيث الثقافة والذوق الى ذروة هي في الصدر فيما بين درجات مختلف الصناعات من ادبية وغيرها .

قد يكون هذا النوع من البحث الادبي جديداً في بابه ، وقد يعقبه حديث لاحق من قبل بعض الزملاء في المستقبل .

ان الذي حدا بي للتبسط حول هذه الناحية الجديدة ، هو اقناع القارئ بان اسم هذا الكتاب لا يهدف الى امتداح النهضة السورية وحسب بل يضم بين صفحاته فقرات النقد لما رافق صعود سوريا من الاعمال الناقصة المنتظرة بالنسبة لما خلفه المستعمرون الاتراك والفرنسيون في نواحي الامة السورية التي ساندفع نحو معالجتها بالقلم البرئ الذي يستوحي مصلحة ارث ابائه واجداده (الوطن المفدى) وبهذه المناسبة لا ارى غضاضة بل ارى من الصواب والمرغوب فيه ان ارجو القارئ المهذب لان يتغاضى عن ذلة اذا ما قد رآني مرتطما بمثارها وان يتعالى عن توجيه لومه وغضبه علي اذا ما سقطت من على هضبة الباحث الواثق من نفسه ، بيد ان هذا الرجاء ارجوا ان لا يكون حائلا بين رغبة القارئ المهذب التي قد تحبب اليه لان ينقد مقالات النقد النزيه المطبوع بمزايا الاديب المنتج الذي قد افيد من استقامة تفكيره لان العصمة لله وحده

عرض

عزمت بعد ان فكرت على ان اجري محاولة باحثة تتناول اوضاع بلادي بما فيها الصالح و الطالح رامياً الى تسجيل واجب من الواجبات المترتبة على امثالي من المواطنين المتواضعين ، وسأمر على كل ماله مساس بالقضية العامة ضمن الطاقة الفكرية التي قد تأذن لصاحبها بالاستفادة من سخائها الانساني ليهبط بما يتوفر لديه من امكانيات الى ميدان الحق والخير والجمال ، والتي قد تضن عليه بسبب ما اصابها من ارتباك واضطراب بالروح قلل من خصابتها واوشك ان يجعلها في مقربة من الجدب والشح ، وفي هذه الحالة المرتبكة المضطربة يرى العقل الفاعل في هذا الكون استحسان ترك القلم ليستجم صاحبه في بحبوحة من الحرية والراحة والغذاء المنوع الذي لا تخفى ارقامه على ذي بصيرة .

اراني جانحا ومفضلا جمل فصول كتابي « سوريا الصاعدة » جامعة ضمن جنباتها الامور الكبيرة والصغيرة التي يشعر المواطنون السوريون العرب بضرورة

اصلاحها من الوجهتين الاساسية والثانوية على ضوء مخلفات عبقرية الامة السورية العربية في الماضي البعيد وعلى ضوء انتفاضاتها في القرن العشرين ذي الارتقاء المداركي البعيد المدى ، والواضح المعالم ، شأن كل باحث مخلص يود الحومة المتزنة حول قضايا امته وبلاده معتمداً على ما افاده من تطورات الفكر الانساني الذي امن لكثير من الامم في هذا العالم حياة يومية منظمة ، قوامها الكيان المعزز الذي تحيط بأردانه مهابة الحق وينبوع الخير وروعة الجمال وانسجام اجزائه ، نعم وفي ظل من سطوة القانون كي يقف الطائشون المستهترون عند حدودهم وبالتالي ليتعظ الشريرون المعتدون من احكام القصاص العادل

وسأصرف جهداً فكريا من اجل تبيان الفارق بين مبادئ التربية الاجتماعية الناقصة في الامة السورية العربية ، وبين مبادئ التربية السليمة في طائفة من الامم الاجنبية التي استطاعت ان تنهل من ينابيع الحياة وان تكسب من كنوز الارض ما جعلها كانها تعيش في جنة الخلد حيث لم يعد بين ابنائها شاك ولا متظلم ولا بائس ولا عاطل عن العمل ناهيك عن الضمانات الحياتية التي اوجدتها حكومات هذه الامم الراقية لذوى العجز ولمتقدمي السن وللارملة وابنها اليتيم

واذا ما عرجت بنقدي الى وزارة المعارف في الجمهورية السورية ، فانني ابتغي الخير كله لامتي وبلادي

واما الجندية ومشتقاتها من (درك وشرطة) سأوجه لها اهتماماً كبيراً وعناية فائقة ضمن اطار من التقدير بالنظر لما تتحمله من المسؤوليات الجسام والاخطار والاهوال في سبيل الحفاظ على حدود البلاد ومن اجل الابقاء على الهدوء والامن والنظام بين المواطنين . وسيكون للجزء السوري الجنوبي (فلسطين العربية) نصيب وافر من البحث والنقد واللوم ، ومن الصواب ان يكون الحديث عن الدول العربية الشقيقة كما يتكلم الشقيق المخلص عن قضايا شقيقه في المناسبات الطبيعية وغيرها

وسأخص مواصلات الجمهورية السورية بقسط من البحث الاصلاحي لانها تعد سبباً رئيسياً في تبادل مصالح سكان المدن والقرى بصورة خاصة فضلا عما لها من تأثير في نقل مبادئ الثقافة والعمران ومظاهر الحضارة من المدينة الى

القرية ، ويتضح من هذا التبادل وذاك النقل اذا ما تما بشكل مستديم منظم فان مدينة اللاذقية الساحلية التي تعتبر مرفأ سوريا الوحيد ستظل ممراً وحيداً للصادرات السورية والواردات الخارجية ، وفي ذلك تعزيز للاقتصاد السوري وضمان لسلامته وارتقاء ارقام وارداته

وبديهي اذا ما كان العامل السوري ذا نصيب من عناية ابحاث هذا الكتاب المتواضع لكونه عضواً عاملا منتجاً في جسم المجتمع السوري

وكذلك الزراعة الآخذة بالتقدم والفلاح فانها قمينة بجليل الاهتمام وكبير العناية لانها مورد رئيسي في وطن الجمهورية السوريه ، ولعل الاصطياف في الارياف السورية يستجلب انظار المسؤولين بعد ان تبين لهم ولسواهم من المواطنين فوائده الصحية ومنافعه المالية ، وبالتالي انه غدا بالنسبة لمدنية القرن العشرين من لزوميات الحياة الانسانية في كل بلد دون استثناء

واما ذهنية التوظيف لدى المثقفين من المواطنين ، واما ذهنية الموظف في ادارته لمصالحهم فهي بمسيس الحاجة الى استلهام مبادئ الحكمة والصواب في معالجتها ضمن اطار من الجد والصراحة ، وقد يكون في طليعة ما يهم الواعين من المواطنين الاتيان على امتيازات الشركات الاجنبية ذاكراً بالتجرد المنافع المادية المتبادلة فيما بين اربابها والدولة السورية

ومن الحق علي ان اتولى كباحث يرتدي كساء البساطة الاوضاع الحزبية في بلادنا بروح المنصف البعيد عن الهوى والجنوح الخصوصي بسبب ما خلفت وما تخلف من مضاعفات الامراض الاجتماعية في النفسية السورية العربية العامة ، ولكن هذا مع الاسف لن يكون ، رغبة مني بالحفاظ على العلاقات الشخصية القائمة بيني وبين القائمين على ادارة الاحزاب السياسية في البلاد . الا انني سأستعيض في الفصل الاول عن هذا القصور الفاضح ببحث سيمكن الساذج من القراء من الاحاطة بالمضار التي لحقت بالامة بسبب وجود هذه الاحزاب . واعترف ارضاء للواقع ان تهربي من بحث قضية الاحزاب السياسية الحاضرة بالشكل الذي يرضى عنه العقل المهذب الفاعل في هذا الكون ناتج عن الامراض الاجتماعية الكائنة

في هذه الامة التي انا وسواي من المواطنين اجزاء منها ، وفي هـــذا الايضاح وذاك العرض كفاية

ومن الانصاف ان اذكر للتاريخ رمز البر والوفاء والتهذيب الاجتماعي التاجر المحترم الشاب السيد ابراهيم ناصر الذي اثبت موجودية نبيلة من اجل اخراج هذا الكتاب ولهذا اراني شاكراً فضله ومقدراً نبله

اللاذقية في كانون الثاني ١٩٥٥

احمد شيخ خميس

الفصل الاول

— سوريا الصاعدة —

(١) سوريا في احضان الاستعمارين التركي والفرنسي (٢) سوريا في بداية استقلالها عام ١٩٤٣ (٣) سوريا في مراحل انتفاضاتها الداخلية (٤) اوضاع الاحزاب السياسية

١ — سوريا في احضان الاستعمارين التركي والفرنسي

قد يلاحظ البعض من القراء ان الحديث عن هذه الناحية من البحث شيء قديم مله الناس ، ومن الحق ان نقول ان الاستعداد لهضم هذه الملاحظة موجود في اذهان قراء الصحف السيارة ولكنها لا تلبث ان تتلاشى في طريقها الى الزوال اذا ما قلنا ان الكتب شيء والصحافة شيء آخر ، حيث ان صدور الاولى ما كانت ولن تكون رهناً للجيل الحاضر بل هي ملك للاجيال المقبلة ليطلع الابناء والاحفاد على احوال الغلبة والاستعمار التي عانت بلاد آبائهم واجدادهم قساوتها ومرارتها وفي هذا الاطلاع موعظة بل خزانة علمية واختبارية يعودون الى الاستفادة من مكنوناتها اذا ما حلت بمقدراتهم العامة نائبة او فجيعة خارجية ، وكذلك اذا ما انتابت اوضاعهم الداخلية شهوة حكم رديئة او سطوة اقطاعي آثر الاستبداد على العدالة او نزاع حزبي مخيف

نحن نكتب في مطلع النصف الثاني للقرن العشرين في بلادنا سوريا الجمهورية المستقلة بادئين في تسجيل استعراض موجز للعهود الاستعمارية التركية والفرنسية وقد لا نصدر بعد هذا المؤلف المتواضع شيئاً آخر لان الاعمار بيد الله صانع هذا الكون ومدبر شؤون سكانه

سلخ الحكم التركي العثماني السابق في ادارته لشؤون البلاد السورية والبلاد العربية ما يقرب من البضعة مئات من الاعوام وكانت اذهان البشر غائصة في دياجير الجهل والظلام والاقطاع العنيف وبصوره خاصة اذهان الناطقين بالضاد وكانت السياسة العثمانية المتبعة في هذه الديار سياسة دينية اسلامية نجم عنها انكماش غير المسلمين من المواطنين الا انه ظل مكتوما ضمن جوانبهم الى ان انتهت الحرب العالمية الاولى بانتصار الدول الحليفة بريطانيا العظمى فرنسا امريكا والدول التي سارت في افلاكها ، وفي هذه الفترة من الزمن الماضي خرج هذا الانكماش من بين جوانب ذويه وتطور الى لسان القى في آذان ساسة هذه الدول المنتصرة على الدولة العثمانية وحليفتها المانيا خوفهم واظهروا رغبتهم لهم في اعلان حمايتهم الدولية ، ومنذ ذلك الحين المنصرم ولدت فكرة (الاقليات) غير انها لم تعمر طويلا رغم اصرار فرنسا في هاتيك الحقبة من التاريخ الحديث على استدامة هذه الحماية لان المفكرين المخلصين من هؤلاء المواطنين وجدوا في استمرار هذه الحماية الفرنسية او غيرها غضاضة تقضي مبادئ تفاعل المواطنين السوريين واللبنانيين بالغائها والاستعاضة عنها بمبدأ الحياة اليومية المشتركة والمصير المشترك فيما بينهم وبين ابنائهم واحفادهم في المستقبل القريب والبعيد .

كل ذلك جاء وليداً ونتيجة طبيعية للارتقاء الفكري الذي اصاب مدارك المواطنين في عموم البلاد العربية ، ولا جدال في ان تعاملهم اليومي المشترك فيما بينهم في هذا الجو الذهني المصقول بمبادئ العلوم والفنون كان من العوامل الرئيسية التي افضت بهم الى نبذ فكرة الاقليات الرديئة المؤذيه (ونعم ما فعلوا)

نعود الى الموقف الايجابي الرائع الذي وقفته الشعوب العربية الى جانب الدول الحليفة المنتصرة في الحرب العالمية الاولى والى آلاف الضحايا العربية التي لاقت وجه ربها التزاماً لهذا الموقف وانتظاراً لتحقيق وعود المنتصرين في توحيد البلاد العربية واعطاء عرشها الى فقيد العظمة والصدق والشرف السلطان حسين بيد انهم تعاموا وتجاهلوا وعودهم وقسموها الى دول عديدة وفاقا لمصالحهم

الاستعمارية واردف البريطانيون هذا التعامي وذاك التجاهل باعلان وعد بلفور المشؤوم باقامة وطن يهودي في الجزء السوري الجنوبي — فلسطين — الذي خصصت له فصلا خاصاً في هذا الكتاب

واما الشعب السوري الذي حكمه الفرنسيون الاستعماريون باساليب العسف والجور فقد اخذ يصارع حكامه القسريين بمختلف امكانياته ، تارة يقدم بكامل اختياره الافاضل من ابنائه الى السجون والمنافي وطوراً يقدم الاكارم من فلذات اكباده الى ميدان الحديد والنار حين اشعل ثوراته الداميــــة على طغيانهم واستبدادهم ، ولعل الحين الذي بقي فيه الاستعمار الفرنسي مسلطاً على سوريا يتميز عما سواه من الاحايين التي استمرت فيها الادارات الاجنبية الباغية في اي بلد آخر ، بنيران اللهب التي اضرمها شعب سوريا والتي كانت سبباً في جذب كثير من قادة الامم وساستها المتحررين الى نصرة القضية السورية الدائلة في المحافل الدولية ، وقد استطاع الشعب السوري المناضل ان يدفع عن ارث آبائه واجداده معالم التفرنس ، كما استطاع ان يقيم حداً مانعاً بينه وبين رغائب واهداف الاستعماريين العثمانيين في استتراكه ، وهنا يأذن العقل المهذب الفاعل في هــذا الكون لنفسه ان يسجل فوق جبين الابدية والخلود حيوية هذا الشعب الغزيرة المتدفقة التي تمكنت من الصمود امام الاستعمارين التركي والفرنسي الزائلين

اتينا على الاستعمار الفرنسي المسلح السابق وعلى مساوئه ونكباته وفواجعه ، ولا مفر لنا من الاعتراف بما افدناه من علوم الغرب وفنونه ، وبما اكتسبنــاه من الاختبارات والوقائع بسبب طغيانه وتعسفه وانحرافه المقصود عن جــادة الصواب والعدالة بالنسبة لمشاعر المواطنين السوريين الذين نزعوا وما انفكوا ينزعون الى حكم بلادهم بملء ارادتهم ولن يقبلوا عن ذلك بديلا

ان كل شعب يجتاز مرحلة الغلبة على امره ، بجهاد وصبر ، سيحافظ على ثمرة نضاله وعلى شرف استشهاد فريق من ابنائه من اجل اقرار حقه الانساني في امتلاكه لمزاولة شؤونه العامة ، سيشعر بنعمة دونها النعم ، وستخالجه عنــاصر فرحة دونها الفرحات ، لانه ذاق المر والحنظل في عهد الغلبة على امره ولأن

هذا العهد الغادر "قد اطاح برؤوس" رهط كريم من صادرات اصلاب بنيه على مذبح نضاله الدامي وعلى عتبة انتصاره لحقه الانساني في الحياة ، اجل هذا هو الشعب السوري المستمر المناضل بالامس ، وهذا هو الشعب السوري الناعم في فردوس استقلاله

٢ = سوريا في بداية استقلالها

في عام ١٩٤٣ تم لسوريا الجمهورية استقلالها التام واجرت انتخاباتها النيابية واكتمل عدد اعضاء المجلس النيابي السوري وانبثق عنه رئيس الجمهورية فخامة السيد شكري القوتلي واسند فخامته رئاسة الحكومة الى احد اعضاء المجلس النيابي الذي اعطاها الثقة وشرعت بدورها تصرف شؤون الادارة العامة في الدولة السورية في ظلال النظام الديمقراطي المتبع في معظم بلاد العالم المتمدن في القرن العشرين ، واخذت الحكومات المتعاقبة في عهد رجل الطهر والوطنيـــة العاملة فخامة رئيس الجمهورية السورية السيد شكري القوتلي تقوم بالمشاريع الاصلاحية المفيدة (شكلا) ، الا ان الجشع المادي صير ذويه يستهترون بمصالح الشعب ويغدقون على رجال بطاناتهم المنـــافع المادية المحظورة ليربحوا رضاءهم وليضمنوا استدامة بذل مجهوداتهم في اوساط المواطنين حتى اذا ما حانت فترة الانتخابات النيابية - وانبثق فجر صباحها العملي سيق الناخبون بدافع من هؤلاء الرجال الى صناديق الاقتراع ليلقوا باصواتهم في جانب مصلحة هؤلاء الحكام الذين ائتمنوا على الادارة العامة ونخص بالذكر منها الجهاز المالي

قد يسأل بعض المواطنين ، كيف تقع هذه الارتكابات وتلك الجرائم في عهد رجل جليل القدر بامانته واخلاصه كفخامة الرئيس السيد شكري القوتلي ولعل العارفين المنصفين من ابناء البلاد يتفقون مع قول الحق والانصاف ، بان فخامة القوتلي معروف بطيبة عنصره واستقامة تفكيره وسمو اخلاقه ، الا ان نقاوته القلبية استغلها نفر ممن تعاونوا مع فخامته بشكل اضر باجهزة الدولة واساء الى سمعتها في الداخل والخارج حتى ان اكثر من واحد من هؤلاء المتلونين الجشعين قد اغتنوا على حساب الامة والوطن ولكنهم معروفون لدى الجميع ،

ولذلك نبذوا ودحروا منهم من رحل الى خارج البلاد ، ومنهم ما زال يعيش في داخلها بشكل عادي مهمل ، وهذا اخف قصاص

ارى من الانصاف والعدل ان الفت نظر القاريء الكريم الى فصل فلسطين العربيـــة حيث سيقرأ فيه شيئا واقعيا عن هذا القطب الوطني العظيم فخامة الرئيس السابق السيد شكري القوتلي الذي لم يسمع به سوى القليلون من الناس وهو على جانب بعيد المدى من الخطورة والاهمية ، ولا ريب ان هذا الامر الهام ليس بغريب عن زعيم كبير مثله

واذا ما استاءت الامة السورية التي مهرت حريتها واستقلالها وسيادتها بدماء ابنائها وممن مالوا عن طريق الصواب والاستقامة وتلاعبوا باموال الامة ووجهوا نواحي الادارة العامة وفقاً لاهوائهم الخصوصية وكان لديهم ملء الحق في كل قصاص تصبه عليهم وفي ذلك درس لكل من تسول له نفسه اغفال شأن امته وبلاده ، وليعلم كل سياسي ان امته واقفة له بالمرصاد، واذا ما اتبع نداء خصوصياته المتضاربة مع مصالحها الكبرى ، فان الحساب العسير سيكون من حصاده وليس في هذه الساعة الرهيبة اي مجال للندم

٣ — سوريا في مراحل انتفاضاتها الداخلية

بدأ الانقلاب الاول الذي قام به الزعيم حسني الزعـــيم في سنة ١٩٤٩ وتسلم زمام الامور في الدولة السورية ووزع مسؤوليات الادارة الى من يثق بهم من رجال السياسة شأن بطل كل حدث تاريخي من هذا النوع واستبشر الناس خيراً ، ثم انتخب بطل هذا الانقلاب رئيساً للجمهورية السورية عـــن طريق الناخبين مباشرة ولم يكن لفخامته في ذلك الحـــين اي مزاحم ، ولم يعمر في الرئاسة الاولى سوى اشهر قليلة قتله الجيش رمياً بالرصاص مع رئيس وزرائه الدكتور محسن البرازي بعد محا كمتهما وقد ترأس هذه المحكمة العسكرية المرحوم سامي الحناوي الذي سمي بطلا للانقلاب العسكري الثاني وتسلم دفة الحكم رجال مدنيون يمثلون معظم الاحزاب والفئات السياسية بالبلاد وتمت بعد ذلك انتخابات نيابية وانبثقت عن مجلسها حكومة موثوقة واخذت تسوس البلاد محاولة تنفيذ

المبادىء الاصلاحية هادفة الى وضع الامور في نصابها الا ان هذا العهد لم يطل كالعهد السابق حيث الغى مفعوله بصورة كلية الزعيم اديب الشيشكلي الذي عد بطلا للانقلاب العسكري الثالث ، وكذلك قد اعاد هذا البطل مقاليد الامور الى الرجال المدنيين الذين كانوا حين انقلابه واستمروا بكامل اختياره في مزاولة مهام الحكم وعينه المجلس الحربي الاعلى معاونا لرئيس الاركان العامة في الجيش السوري لان رتبته العسكريه في ذلك الحين « عقيد » لا تساعده على ان يتخطى وجود زعيم مالك لقيادة الجيش

وقد حمده الناس وقدروه واعتقدوا انه قد افاد من حوادث الانقلابين الذين سبقا انقلابه وظنوا بانه قد قرر عدم الاقتراب من رئاسة الجمهورية ، الا ان هذا الاعتقاد وسواه اخذ يتلاشى شيئاً فشيئاً ازاء تدرج الزعيم الشيشكلي نحو مناصب الحكم عن طريق الوكالة الى ان جاء الوقت المناسب (بالنسبة لاجتهاد فخامته) واعلن في خلاله نظام الحكم على الطريقة الاميركية وانتهى بعد ذلك انتخابه مباشرة رئيساً للجمهورية عن طريق الشعب ، وفي فترة اخرى عقب صعوده الرئاسة الاولى اجرى انتخابات المجلس النيابي ، واعلن فخامته استعداده لكل من يرغب في التعاون معه من زعماء البلاد السياسيين غير ان جوابهم قد تجلى في عقد مؤتمرات سياسية سلبية في جو من الاستنكاف الشديد في حين ان المواطنين الذين سئموا القلق والاضطراب الداخليين كانوا يودون ان يتجرد هؤلاء الزعماء من الصفات الخاصة . وان يستجيبوا لندائه ويضموا امكانياتهم الى جانب امكانيات فخامته من اجل الاتجاه بسفينة الامة نحو شاطىء السلامة

لقد كانت سياسة فخامة الرئيس الزعيم اديب الشيشكلي في الميدان الخارجي سائرة في كنف الاباء القومي حتى انها كانت وما زالت محط تقدير واعجاب لدى المنصفين من السياسيين وبصورة خاصة الاجانب منهم ، الا ان سياسته الداخلية كانت وما برحت موضع تأييد فريق منهم ومدار قيل وقال وعتب ولوم لدى الفريق الآخر ؛ وكل منهما يدعم اقواله بنظريات اجتهادية وحسب ، ولا جدال ان المشاعر الخاصة التي تجيش بنفوس كليهما ما زالت وما فتئت تعطي مفعولها في

هذه الاتجاهات السياسية الداخلية في معرض التفسير والاستنباط والاجتهاد وليس من السهل لدى اية قوة حزبية او غيرها في البلاد ان تقيم الحدود امام هذه المشاعر او ان تقضي عليها

واذا ما اردنا ان نستعرض امراض هذه الامة التي خلفها وراءهم المستعمرون الاتراك والفرنسيون الزائلون بمناسبة الحديث عن مشاعر المواطنين المتباعدة والمنقسمة عن بعضها البعض ، فان الحديث الجدي عن هاته الامراض الاجتماعية له مناسبة اخرى في هذا الكتاب ؛ غير اننا نستطيع ان نقول بلغـــة جازمة ان الانقسام المشاعرى المشار اليه هو صورة عن هذه الامراض بل هو المرض نفسه وهو العلة الكبيرة التي عاقت سياسة فخامة الزعيم الشيشكلي في الميدان الداخلي والتي ستعوق كل سياسة مهما كان شأن مصدها ، وبهذه النسبة ان سياسته كانت موفقة لحد من الحدود ، والكمال لن يكون في هذا المجال مالم تستأصل هذه العلة الكبرى

من الثابت المؤكد ان اية انتفاضة اذا ما وضحت معالمها ضمن النطاق الفردى او النطاق الامي ، هي دون ما ريبة وليدة الاتجاه المعاكس لطبيعة ناموس البقاء الذى كان ولن يزال من العوامل الرئيسية التي صقلت مواهب النوع الانساني وقومتها حتى جعلتها متسقة ومتحدة ، ومن اجل الحفاظ على ذينك الاتساق والاتحاد في هذا النوع ابتكرت وابدعت ذهنيات الافاضل من البشر الدساتير والانظمة والقوانين ذوات الحدود المرسومة والزواجر الحاطة بهالة العدالة ورهبة القصاص ووطأة مغبته ، ولهذا استصوبت الحكمة الالهية العظمى بعث الرسل مصحوبين بالانظمة السماويه المقدسة الخالدة لان الانسان اذا ما تسنى له الاتيان باعمال النقصان والبغي والاعتداء فهو جانح نحو هذا الاجراء الاستبدادى

هذه صوره واقعية مصغرة عن معنى الانتفاض في عموم العصور قديمهـــا وحديثها ، وسنتكلم عنها في حينها من المناسبات الباحثة في هذا الكتاب

٤ — اوضاع الاحزاب السياسية

يكاد يكون الحديث عن كل قضية صغيرة او كبيرة يجرنا الى الاصطدام

بالامراض الاجتماعية المصابة بها هذه الامة واذا ما اقتصرنا بمعالجة هذه الصدمة فلأننا نود ارجاء بحثها الجدي الى وقتها الذي تتوفر على جنبـــاته عناصر البحث والاسباب ، ولهذا اراني مفضلا الاكتفاء ببحث الاوضاع الحزبيـة في بلادنا من الناحية السياسية غير متأثر باى نوع من انواع الاحاسيس الخصوصية في حالتيها السلبية والايجابية ، وبعبارة جلية صريحة آثرت لتلك المعالجة ان تسلك سبيلا طبيعياً يمتاز عابروه بسماء الاتزان وصدق الهدف ، ولعلي اكون في عداد هؤلاء العابرين الذين يجنحون الى افتراش الطاهر والى التحاف البراءة في جولاتهم الفكرية الراقية

ان ارقام الاحزاب السياسية في بلادنا عالية اذا ما اردنا تسجيلها بالنسبة لارقام الاحزاب السياسية في البلاد المتميزة بوحدة المشاعر النفسية كالأمـــة البريطانية والامريكية وغيرهما من الامم الغربية ـ اسوج ، نروج و الدانمارك ـ ولا بد في هذا المجال من ان يدلي العقل بتساؤله عن هذه الكثرة ، ولعل الاجابة نراها متجلية في رغائب واضعي مبادئها الهادفة الى ازالة النواقص ليقيموا في محلها الابنية الاجتماعية الصالحة وهذا لا ريبة فيه

ويظهر من رضاء العقل عن هذه الاجابة بانه يتبنى تلك الحقيقة التي تدل على النوايا الطيبة والتي صدرت عنها المبادئ والعقائد الحزبية السياسية الموجودة الآن في بلاد الجمهورية السورية ، ولكننا نجد هذا العقل مرة اخرى يود ان يردف سؤالا ثانياً ، لماذا هذا العراك الحزبي المستديم فيما بينها ، ولماذا تهيمن عليه المشاعر والاغراض الخصوصية ، هنا مجال الاصطدام الذى خشيناه فيما تقدم

اثبتت القاعدة بعد التجارب النفسية العلمية التي اجراها علماء الاجتماع ان المنطق العاطفي له مفعوله ومخاطره اذا ما كانت الغلبة بجانبه على سلطان المنطق المعقول ، وقد جاءت وقائع الزمن في مختلف الامم الماضية والحاضرة مؤيدة هذه الحقيقة الواقعية التي توصل اليها هؤلاء العلماء المجربون الذين اقاموا بفضل ذهنياتهم الوقادة الوضاءة ركائز هذه القاعدة (لا قاعدة بدون تجربة)

يتضح ان المنطق العاطفي ليس بمقدوره ان يسيطر على سلطان المنطق المعقول

الا في حالة ضعف الاخير وارتجاجه في فترات تفكيره ، واذا ما ظلت تلك الحالة الرديئة في النوع الانساني ، فان العاطفة ستظل حاكمة ومقررة في معظم اوقات اعماله ، وهنا الفشل يلحق به مها حاول الافلات منه ، باستثناء قلة من ظروف الحياة التي قد تدفع اليه بالنجاح الذى يسمى على لغة البسطاء من الناس (الحظ)

ونحن لا نستطيع ان نتجاهل و ان ننكر ما للعاطفة من السيطرة على المنطق المعقول في بلادنا سوريا ، كما ان هذه السيطرة العاطفية الخطيرة هي ذاتهامسيرة لمعظم اعمال الشعوب والحكومات في العالم اذا ما ازدحمت الطوارئ وتراكمت المشاكل على جوانبها حيث ان الاوضاع النفسية القلقة المضطربة تغدو اخصب ارضاً لبذورها ، واصيد بحراً لشباكها ؛ بيد ان العقل المصقول المهذب ليس بمكنة المنطق العاطفي ان ينساب بخاطره نحوه مها اندفعت حياله الحوادث ؛ بل نراه في مثل هذه الاحوال كالبناء القائم على الاسمنت والفولاذ يستقبل عواصف الحياة وزوابعها ورعودها كما يستقبل (اصحاب النقاهة) النسيم الشافي في مطلع ايام الربيع

ومن الانصاف ان نستثني طائفة قليلة جداً من هذه الامم والحكومات . ولعل القارئ النبيه يستطيع ان يذكرها في فترة تقدمت في هذا البحث حيث عينتها فيه الامة بعد الاخرى

لذلك اذا ما كان الجواب الثاني على السؤال المعقول الثاني قد اردته مسكوبا موضحاً في طريقـــة الصراع الدائم بين المنطق العاطفي ذي الشهوات الضارة المؤذية ؛ وبين المنطق العقلي المرجرج ؛ فانني اود ان اوجه الى قادة الاحزاب السياسية في بلادنا قسطاً من اللائمة لان الحديث الذي نحن فيه هو من الاهمية بمكان بعيد لدى سكان هذه الديار وبصورة خاصة القادة الذين يأتون بالدرجة الاولى من حيث المسؤولية القومية لكونهم على نسبة محترمة اذا ما ذكر المثقفون وفضلا عن ذلك قد ارتضوا مسؤولية التصدى لحماية القضية الوطنية من عبث الامراض الاجتماعية ومن غدر النهمين الخارجيين اذا ما تحركت ضمن جوانبهم عناصر الجشع والاجتياح ؛ ومن ضمن هذه النسبة الثقافية والقومية التي تتوج

مفارق هؤلاء الزعماء السياسيين تصعد اللائمة الجارحة متجهة صوب مداركهم لان يخلو الى نفوسهم عند كل عمل وطني يرون المصلحة العامة قاضية بالقيام فيه بغية الانصات الى مبدأ العقل الذي لا مناص لهم من حكمه اذا ما صدر ، نعم ان هذا الحكم العقلي اذا ما نفذت نصوصه فان الحد سيقوم بدوره من حيث تجريد حنايا نفوسهم من الضغائن والموجدات التي كانت سبباً مباشراً بتوجيه هذا اللوم بعد ان سببت استمرار المشاحنات والمهاترات وفي كثير من الاحايين السباب والشتائم بين احزابهم السياسية ، على حين اننا لا ننكر كسوانا من المواطنين الواعين ان عملية استئصال الامراض الاجتماعية من الامة السورية لم تكمل اذا لم نقل انها لم يبدأ بها بعد

ولكن خلوتهم الى نفوسهم التي اتينا على ذكرها لا ريب انها ستجعل تفكيرهم اقرب الى الاستقامة من الاعوجاج ، وادنى الى موطن الصواب من موطن الخطأ

وبهذا السياق من الحديث نرى بعض من اصيبوا بالحماقة وشرورها يعتدلون في اعمالهم اذا ما لاذوا بكنف الهدوء النفسي ، واذا ما اعملوا الفكر في اي اتجاه من اتجاهاتهم ، فانهم يكونون في هذا الجو الصافي اصحاب انتاج في معرض الحياة الانسانية ، واذا كان هؤلاء المصابون بتلك الحماقة ومفاسدها متحولين الى مرحلة الانتاج المفيد بحكم انتقالهم الى الاستظلال بهداية العقل ورزانته ، فان البداهة التي تنساب ضمن نواحي المواطنين جميعهم تنطق قائلة : ان قادة الاحزاب السياسية في سوريا يستطيعون ان يتجنبوا مهاوي الزلل والمسالك الحزبية الوعرة اذا ما خلوا الى نفوسهم ووضعوا امام بصائرهم قضية ارث الآباء والاجداد التي يفرض بهم ان يورثوها بعيدة عن نواقص الارتجال ومعايبه وعن غبار الزمن الى الابناء والاحفاد .

الفصل الثاني

التربية الاجتماعية

(١) دور وزارة المعارف ـ (٢) دور الاباء والاولياء

(٣) الاخلاق النفسية الواحدة هي السياج المكين

للاوضاع الداخلية والخارجية في كل امة راقية

(٤) الامن الداخلي والدفاع عن الحدود

هما من صادرات الوحدة الشعورية والحسية

١ ـ دور وزارة المعارف

يدرك اصحاب الاذهان الصافية المهذبة ان دور وزارة المعارف في تربية النشء وتثقيفه وتهذيبه وتخصيصه بعيد الخطورة وجليل الاهمية في عموم الامم المتمدنة ، ويتميز هذا الدور بدقته وخطورته في كل امة ذات نهضة جديدة ولاسيما اذا ما كانت خارجة من احضان المستعمر الغالب فانها تكون مصابة بعدوى مخلفاته من حيث ابتلائها بالمفاسد والامراض العامة ، ولهذا تغدو مهمة وزارة المعارف في امة من هذا النوع المريض اشبه شيء بمهمة الطبيب البارع المخلص الجريء الذي يستوجب منه واجبه الانساني لان يصور مرض المريض المتألم تصويراً واقعياً ليصبح بمقدوره ان يضع وصفته الطبية وان يعطي الى جانبها ارشاداته الفنية

وفي هذه الحال من المعالجة الفنية الانسانية المخلصة ، يتطلب الواجب الانساني من ذوي المريض واوليائه لان يراقبوه حين يتناول المقادير العلاجية المقررة

المتباعدة عن بعضها البعض وان يشرفوا عليه عند ما يود ان يتناول وجباته في حدود تعليمات الطبيب

ولا جدال في ان الشفاء يسعى اليه ليلقي بمراسي سفينته في خضم امراضه اذا ما اتم هذا المريض اتباع الطريق السوي الذي تقتضيه ارشادات طبيبه ووصفته الفنية

واما اذا كان هذا الطبيب تقوده في ادائه لواجبات مهنته الانسانية المحترمة عقلية الكسب والارتزاق بشكل غير مشروع ، او اذا كان عاجزاً عن القيام بما تفرضه عليه تلك الواجبات ازاء المريض المتوجع المسجى فوق فراشه ، فان مضاعفة هذه الالام ستحل في حناياه التي قد تودي بحياته ويصبح في عداد سكان القبور

وبمناسبة هذا الحديث التشبيهي بين مهمة رجل الاصلاح التربوي والاجتماعي وبين مهمة الطبيب الانساني نرى من المستحسن ان نذكر الناس في كل بقعة من بقاع العالم بان اكثر من مريض واحد كان الموت يحوم حوله غير ان الطبيب المتفهم لاصول الفحص لعموم اعضاء الجسم والعارف في كيفية تصوير امراضها استطاع ان يبعد عنه غبار الموت وان يهيأه سالماً معافاً الى صعيد ذوي الهمة والنشاط الانساني مع العلم ان لهذه الودة المحببة الى الافئدة شرطاً اساسياً لا بد منه ، الا وهو التقيد بتوجيهات الطبيب الفنية التي ينبغي ان تسير في مجال التطبيق جنباً الى جنب مع مقادير الدواء التي كان تناول المريض لها سبباً من الاسباب الرئيسية في جلب العافية اليه

لعل القارئ الكريم يغض عن ابداء ملاحظته حيال عرض هذا الشبه الطويل عند ما يصل في متابعته القراءة الى النقطة الحساسة التي الحت علي في هذا الاسهاب ، وارى من الذوق ان اؤكد له انني اشاطره احساسه اذا ما اصابه ملل بسبب الاستطالة في الحديث ، ولذلك الفت نظره الى ان كل عرض في مناسبة تشبيه الاشياء لبعضها البعض في كافة الابحاث امر لا مناص منه في ظلال المنطق المعقول الذي يجنح في محاولاته الفكرية الى اقتناص حقائق الاشياء

نحن على تمام اليقين في علمنا ان مخلفات المستعمرين الاتراك والفرنسيين ما زالت تنخر في عظام هذه الامة

كان العقل المهذب المنتج في هذا العصر الرائع بمدنيته ينتظر من رجال الحكم في الجمهورية السورية المستقلة وبالاخص منهم (وزارة المعارف) ان يشرعوا منذ جلاء آخر اجنبي عن ربوعها بوضع برامج اصلاحية اساسية لعموم وزارات الدولة السورية ، واذا ما احتاجت عمليات تطبيقها الى الاستعانة بالمؤسسات الاجتماعية الاصلاحية وبطائفة من ارباب العائلات ، فان باستطاعة هؤلاء الحكام ان يحظوا باجابة عملية صادرة عن ذوى الفهم والوعي ، اما وانهم يديرون ادارات الدولة بالعقلية الاستعمارية (من الوجهة الادارية وحسب) التي ما زالت تهيمن على دواوين الحكم مائة بالمائة بمدحذف الخمسة والسبعين ، فقد كانت وما برحت موضع النقد والتجريح

وكذلك نحن على تمام اليقين في علمنا ان معظم الرجال السياسيين الوطنيين آثروا الابقاء على معظم اجزاء الذهنية الاجنبية في اجهزة الدولة السورية رغبة منهم في الحفاظ على استدامة المسالك الحكومية الاجنبية السابقة لانها وفرت واعتقد انها ما انفكت توفر مجالات الكسب المادي والمعنوي على حساب الخزانة العامة وفي بعض الاحايين على حساب الرأسماليين من ذوي التجارة والاطيان والعقارات الكبيرة . وطبيعي اذا ما تقاسم هـــذا المعظم من الحكام وهؤلاء الاغنياء المنافع المالية ذوات الارقام الضخمة تحت ستار القوانين التي خلفتها العقلية الاستعمارية والتي لا تمت الى مشاعر المواطنين باية صلة

وكذلك نحن نعرف في ظلال من التأكيد ان الذي حدا بهم لان يتغاضوا عن سريان هذه القوانين هو النقص في اخلاصهم والنهم المادي الحقير الذي لعب دوره في عدم تأديتهم الامانة على وجهها الصحيح، والدلالة على ذلك تلك الانتفاضات التاريخية التي تجسدت في الانقلابات العسكرية السورية المعلومة

ليس هنالك من ينكر مشقة الاصلاح الذي تتطلبه اوضاع الامراض العامة في هذه البلاد ، ولكن المشقة الاصلاحية هي من لزوميات مطلق حاكم اذا ما

اذنت له الامة بالصعود الى منصب الادارة العامة

واراني سائراً في طريق الاعتقاد المتنقل في كنف التدرج والتطور نحو اليقين الذي يستدوب اعلان رأيه حيال المهمة الاصلاحية الكبيرة الملقاة على عاتق الادارة العامة في دمشق

اجل ، يستحسن الرأى السديد تقسيم هذه المهمة الجليلة الى شطرين: الاول، اداري، ينبغي ان يجتمع عموم الوزراء باستثناء وزير المعارف ، ويتدارسوا عناصره الاساسية ومشتقاتها وان يضعوا خطوط العمل الاصلاحي المشترك فيما بينهم على ضوء الاستفادة من تاريخ سوريا القديم الرائع وعلى ضوء النسبة الحضارية العظيمة في العالم المتمدن الحاضر بغية الاستنزال من ينابيع مختلف الثقافات الانسانيـــة الصافية لأن مبادئ النفع الانساني المتبادل بين البشر وعلى الاخص في هذا الحقل الثقافي قد الغت الحدود ومحت معالم التخوم من طريق الثقافات الانسانية التي لا تود ان تعرف سوى الانسان حيث يكون لتندفع نحوه بهباتها الحساسة المذواقة ولتستوطن فوق جنباته

نعم ان السادة الوزراء (وايضاً باستثناء وزير المعارف الذي سيجيء دور نقاشه) يمكنهم بعد ما تقدم من ابداء الرأي ازاء هذا الموضوع الهام ان يتفقوا مجتمعين بعد الدرس الدقيق المنظم على الخطوط العملية المواتية وان يحتفظ كل واحد منهم بحق طلب العون من زميله ضمن هذه الخطوط ذوات الارتباط الاصيل بعضها مع البعض الاخر كما ترتبط اعضاء الجسد الانساني التي لا يمكن ان يعيش احدها مستقلا عن الاخر، وحيث ان عمليات التنفيذ قد ينتج عن مراحلها العملية طوارئ لم ترد في حسابات الدرس والتقرير والاتجاه ، شأن كل عمل كبيراً كان ام صغيراً ، فردياً كان ام مجموعياً ، ولذلك اننا نرى المرونة الذهنية جزءاً متمما لكل عامل ان كان في الوظيفة ام في غيرها من الاعمال

نود الان ان نتكلم ضمن اطار من الاختصار عن الاعمال الرئيسية التي تدخل في نطاق كل وزارة من هذه الوزارات بقصد الاطلاع على نطاقاتهـــا المحدودة وبغية الوقوف على مدى صلات كل واحدة منها بالاخرى بادئين بوزارة الداخلية

التي يتسم معظم صلاحياتها بطابع الادارة والمرونة والتي من حقها ان تستصدر المراسيم من الرئاسة الاولى بتعيين اصحاب العطوفة والسعادة وما يليهم من رجال الادارة ، وبحكم هذا الحق تعد المسؤولة عن كل ما له مساس بالامن الداخلي الذي يتصف بسيماء التوائم مع مهمة الدفاع عن حدود الوطن اذا ما هوجم من قبل الغزاة الخارجيين حيث ان المهمة الحربية الدفاعية ينبغي ان يسندها استتباب الامن بكل معانيه . وبالوقت نفسه اننا واجدون وزارة الداخلية مستنجدة بوزارة الدفاع اذا ما تعسر عليها اخماد فتنة داخلية

وكذلك نرى هاتين الوزارتين في حالات طارئة من هذا النوع تطلبان النجدة من الفيض المالي الموجود في عموم خزانات دول العالم ، ومن البداهة اذا تحرك ناشطاً وزير المالية وسكب النجدة المالية المشروعة فوق القرطاس في ظل النقل والقانون ، كما اننا لا نلبث ان يسقط في اسماعنا طلب النجدة المسلحة من وزير المالية يوجهه الى وزير الداخلية عند ما يبعث جباته الى اصحاب المحاصيل الزراعية لاستيفاء ما عليهم من الضرائب الحقة العادلة لخزانته مقابل سهر الدولة عليهم في كل ناحية من نواحي الحياة ، وهكذا نجد الدواوين الوزارية يتصل بعضها مع البعض الآخر بصلة القرابة والنسب ويتبادلون وسائل التساند والمشاطرة في كثير من اعمالهم

نعود الى سبب شطر المهمة الاصلاحية الى شطرين والى وضع الاول منهما على مناكب رجال الحكومة المركزية ، ولا ريب ان هذا السبب يبدو جلياً في نسبة الامراض الاجتماعية المتغلغلة في اصلاب المواطنين جميعهم ، ولو اننا اغضينا عنهم وآثرنا حصر تلك المهمة ضمن نطاق وزارة المعارف لكنا من الخاطئين ، وبالوقت نفسه يصبح من اليسير على الغير من الناس هنا وفي الخارج ان يفسر اغضاءنا تقصيرا مقصوداً

وليس ببعيد اذا ما جاءنا بعض المعترضين السائلين ليقول : هل هناك فائدة ترجى اذا قام الوزراء بشطرهم الاصلاحي ، ولعل السائل يود ان يدعم سؤاله بقول آخر : ان المواطنين الذين بلغوا من العمر ما بعد الثلاثين عاما والى ما هنالك

من الاعوام الاخرى لا جدوى منهم في أي عمل اصلاحي يراد تطبيقه عليهم لان مخلفات المستعمرين ومفاسدهم رسبت في اعماق نفوسهم واوشكت ان تغدو جزءاً من كياناتهم

لا نري من الصواب ان نذهب الى هذا الحد من التشاؤم متأثرين بمبدأ الحكمة القائلة : ان ما لا يدرك كله ينبغي ان لا يترك جله ، وعلى هذا الاساس ارتكزنا في توجيه العمل الاصلاحي الاول الى السادة الوزراء حيث انهم يملكون طائفة من امكانيات التوجيه والتنفيذ التي اذا ما غدت قيد الاجراء فان النتيجة تتمثل لذوي البصائر في نصب الموانع بين سريان عدوي الامراض وبين النشء في هذه البلاد ، ومن الثابت ان المواطنين سيفيدون من عمليات التوجيه الاصلاحي ولو بعض الفائدة لان الانسان مهما بلغ من الجهل والعناد سيقبل على الاخذ ببعض كل مفيد،وعلى هذا الغرار لا بد لهم من اصلاح احوالهم العامة بما فيها شؤونهم الاجتماعية ومعيشتهم اليومية

وكذلك من الثابت ان السادة الوزراء البادئين بتصرفاتهم الاصلاحية المحدودة سيلاقون بعض النجاح بفضل استعداد هذا البعض من الناس لتقبل تلك التصرفات والعمل بمقتضياتها

ونري من الحرص الشديد على المصلحة العامة ان يؤدى المسؤولون في الدولة واجباتهم الاصلاحية المشار اليها ضمن صلاحياتهم ولو انهم غير متوقعين الانتصار على الامراض واخطارها لان العمل اخير من الكسل والجمود ، والحركة اجدى من سواها،ولكننا اذا ما اتخذنا موقف المتفرج المتألم ازاء استرسال المفاسد والانحطاطات الاخلاقية بانسيابها في حنايا البلاد ، فاننا نكون كمن اعد نفسه عرضة للتجريح والتخديش على ألسنة الافاضل من ابناء اقوامنا العرب وعلى ألسنة المهذبين من الغرباء ، ولا سيما نحن في عصر بلغ به الارتقاء المداركي والانتاج الفكري الانساني درجة رائعة وقد لا ينتهي هذا القرن ؛ الا وتقترن هذه الدرجة الانسانية الراقية بصلة الجوار لحدود الكمال (الكمال لله وحده)

نحن الان في طريقنا الى مقام وزارة المعارف لنرى هل شرع بالقيام بواجباته

الاصلاحية عن طريق وزارته ، ام انه مصاب بالارتباك الفكري ؟ اعتقد اننا اصطحبنا السداد عند ما اخرجنا مقامه الكريم من بين مقامات الوزارات الاخرى حين كان النقاش دائراً في المجالات الادارية التابعة لها افراديا ولان المسؤولية الجسيمة المترتبة على عاتق وزارة المعارف ينبغي ان تعالج ضمن اطراف هذه المهمة الاصلاحية البعيدة المدى والمقترنة بمشقة الدرس والتقرير والتنفيذ ، ومن اجل هذا كان استثناؤها من حلبة النقاش السابق حق من حقوق منطق البحث والاختصاص

نحن الآن في ديوان وزاتك يا ايها السيد الوزير هادفين الى الاستنارة بنور حقيقتك التربوية والعلمية عن طريق البحث المكتسي برداء الاستفهام والاستيضاح الذي هو ملك ليبين كل مواطن توفرت لديه عناصر السؤال والجوابات في الطليعة من مصاف المفكرين المسؤولين القلائل .

منذ ان آلت مقدرات هذه الامة الى الساسة الوطنيين ووزارة المعارف تهيمن على توجيهاتها التربوية والتعليمية عقلية احاط بها النقص من كل جانب وباتت تربية النشء وتعليمه سائرة في اتجاه لا يرضى عنه ولا عن الابقاء عليه اي شعب ناهض مستقل وخذ لك مثلا ان الطلاب في المدارس الابتدائيـــة يتولى توجيهم وتدريسهم مساعدون لا يفقهون من اصول التربية الاجتماعية شيئاً يذكر لان مبلغهم من المفاهيم التربوية من هذا النوع ... الذي ولا ريب قد اقام العراقيل في طريق النمو الروحي والجسدي في نشء البلاد والذي افقده استقامة تفكيره حين وصل الى المرحلة النهائية من دراسته الثانوية التي سيلج بعدها باب الاختصاص

ومن السداد ان احيطك علماً بان اساتذة المدارس الابتدائية في البـــلاد الامريكية والبريطانية وفي غيرهما من البلاد الراقية منتقون من ذوي الاختصاص التربوي حيث ان الاشراف على النش وهو في حالة ارتقائه التدريجي من الناحيتين النفسية والجسدية يتطلب منهم ان يكونوا ذوي اطلاع على تلك الحالة وما يحيط بنموها من الدقة والمحاذير والمخاوف ، ولذلك الفينا وما زلنا نجد الساسة المسؤولين في في هاتيك الامم الاجنبية الراقية يصرفون معظم اهتمامهم لجعل هذا السير التربوي

في تلاميذهم الابتدائيين تحت انظار نخبة مختارة مختصة تستوحي اخلاصها حين ترسم مخططاتها وتوجيهاتها لنش بلادها الذي سيصبح في مستقبل الايام سياجاً لاوضاعها الداخلية والخارجية وليحفظها من الاخطار اذا ما لاحت بوادرها في اي افق من الافاق

ولا مناص لنا من تسجيل ... ض الحومة حيال هذه الخطى التربوية المدروسة المقررة في المدارس الابتدائية في البلاد المتقدم ذكرها

يبدو جلياً ان ساسة هذه البلاد الاجنبية قد توفرت في اعماق نفوسهم مشاعر ايجابية هي في المرتبة الاولى اذا ما ذكر المخلصون ، وتسلحت مداركهم بمبادئ العلم والفن والحكمة والصواب حتى باتت في الصف الاول من صفوف العلماء والفلاسفة

ولا جدال في ان هو السمو في مستوياتهم الفكرية، وهـــذا الرسوخ في اخلاصهم، جعلهم يحرصون الحرص كله عند ما يوجهون اهتمامهم نحو الناشئة في بلادهم وهم فوق مقاعدهم الدراسية الابتدائية حيث ان هذه الفترة من مرحلتهم التربوية الاولية تعتبر اداة عاملة على ترسيخ دعائم العقل المكتسب في نفوسهم بعد تمكنهم بالتوالى من ان يغرفوا من مناهل اساتذتهم المترعة بالمفاهيم النفسية والاجتماعية المتناسبة مع مدى استعداداتهم ، وهكذا ينهج هؤلاء الاساتذة المختصون بهذه الشؤون الحساسة الخطيرة لانهم مقتنعون بان هؤلا التلامذة الصغار ليسوا الا اجزاءاً من كيانات اممهم وبلادهم ، ولهذا يحصرون جهودهم الفنيـــة والتوجيهية في هذا الميدان ليجيء بنيانهم النفسي والجسدي قوياً ومهيئاً كي يستقبلوا عهدي الدراسة الثانوية والاختصاصية بسهولة تنسيهم مرحلة الدراسة الابتدائية التأسيسية وما رافقها من الصعوبات

وبعد ذلك سيهبط هؤلاء الرجال المتحفون بمبادئ علومهم وفنونهم ميدان الحياة العملية ويزاولون اعمالهم المختلفة من حكومية وغيرها برحابة صدر مشبعة بلذة روحية تغذي وجداناتهم بغذاء الرضى والاطمئنان الذي يصدره اليهم الضمير العام الكائن في اممهم وبلادهم . ولذلك نرى سكان البلاد الانجليزية والامريكية

يحملون في نفوسهم شعوراً متسقاً متحداً بالنسبة للمسؤولية القومية نحو مصائرهم الداخلية والخارجية ، الا تجد يا ايها السيد الوزير البون شاسعاً والفرق كبيراً بين النهج الدراسي المتبع في مدارسك الابتدائية في بلادنا ، وبين ذاك النهج الساري بمفعوله في هاتيك البلاد النائية الناعمة في فردوس النظام والحقيقة ،..

وكأني بك وانت تهم بالاجابة قائلا : اليس من الغريب ان تحدثني في معرض سؤالك عن هذا البون الشاسع ، وعن ذاك الفرق الكبير ، في حين انك تعلم كسواك من المواطنين ان الامم الراقية التي عنيتها في نقاشك سلخت القرون الطوال وهي تعمل جاهدة في ظل حريتها واستقلالها وسيادتها لاصلاح عموم احوالها الداخلية التي غدا (صلاحها) سبباً في اسباغ نعمة الصلاح على اوضاعها الخارجية ، ونحن في بلادنا الجمهورية السورية لم يمض على تمتعنا في حقوقنا القومية في كنف حريتنا التامة سوى اعوام قليلة ؛ لذلك ليس من الانصاف ان تجرى هذه المقارنة بينما وصلت اليه هذه الامم العظيمة في مبتغاها التربوي والثقافي ، وبينما نحن عليه في هذا المجال المترامي الاطراف والحافل بشتى انواع الصعاب والمشقات ، لحقاً انك تنطق بالصواب والحقيقة ، ولكنك اذا ما انصت الى لفتة متواضعة تهدف الى ضرورة ابتعادك عن مظاهر الحكم وبهرجته ولكي تفسح للنقاش سبيله فانك تكسب محبة وتقدير المواطنين لان القضية التي نجول ضمن صددها لها صميم الاتصال بفلذات اكبادهم - وبفلذات كبدك ايضاً -

نحن ندرك الادراك كله يا ايها السيد الوقور ان بلاد الجمهورية السورية الرافلة في نعيم استقلالها الحديث لا يجيز المنطق المعقول فيها اجراء اية مقارنة من هذا النوع المشار اليه غير ان المنطق ذاته يجيز لكل مواطن ان يقصدك بلومه ثم عتبه وضجيجه لانك بعد ان تسلمت ناصية وزارة المعارف منذ ان جلا الاجنبي المستعمر عن ديارنا ما بدرت من جانبك بادرة تدل على رغبتك في اصلاح شؤون وزارتك ولا على الغائك الطريقة المتبعة في اخذك حملة الشهادة المتوسطة واسناده مهمة تربية وتعليم نشئك المبتدأ اليهم بطريق العون والمساعدة لذوي الشهادة الثانوية التكميلية الذين كسوتهم بموجب صلاحيتك بلباس الاصالة في التعيين

ولا يشك اى مواطن من سكان الجمهورية في انك تعلم اكثر من سواك بانه لا يستساغ استرسالك في غض طرفك عن استدامة هذه المساوىء والمخازي الناجمة عن اختيارك لهؤلاء الشباب الساعدين الذين لا ذنب لهم في متابعة القاء توجيههم ودروسهم على هؤلاء الاحداث في مدارسك الذين يتوقون للاغتراف من ينابيع الفلسفة النفسية والاجتماعية التي ليس لها من اثر في نفوس. هؤلاء الذين اذنت لهم لان يتصدوا حدود التربية القويمة، اجل نقول لا ذنب لهم لانك انت الذى اتيت بهم ليقوموا بهذا الدور التعميرى الاساسي بالنسبة للعمارة المدنية الكبرى التي تمت امتك الى العودة اليها بعد ان عبثت بجوهرتها الفضلى ارادات الامم الغازية من الخارج، والتي تحن اليها روائع المدنيات الحاضرة

ولا بد ان ذهنك الفاهم المطلع على مكنونات تواريخ الامم، يفهم ما كانت عليه امتك في قديم العصور من المدنية في شتى النواحي الانسانية.

ولا الفظ قولا جديداً اذا ما دفعت الى الاداة الطباعية تنويهاً واقعياً يشير الى ما صدرته الامة السورية من الثورات الفكرية الانسانية النافعة التي افادت منها البشرية في مختلف نواحي اليابسة يوم كان النوع الانساني لا يعلم شيئاً عن حقيقة وجوده في هذا العالم.

نعم جاءت الثورات الانسانية السورية بمصباح الهداية والارشاد الذي استضاء بنوره هذا النوع واوجد لنفسه طريقة البحث عن موجد هذا الكون وقرر بعد يقينه ان الواجد (هو الله) ثم راح يستأنف الاستضاءة بهذا المصباح الذي مكنه من ان يبتكر وسائل العيش والطرق التعاملية بينه وبين اخيه وبين الامة والاخرى

وكان لا بد للعبقرية السورية في هذه النسبة الحيوية الفواقة في هذا الميدان العملي من ان تفكر بالبحر وما ورائه من الامم، وفي هذه الحقبة القديمة من الزمن الخالي انشأ الفينيقيون (الفينيقي، عنصر من عناصر الامة السورية) السفن البحرية التجارية لتحمل الصادرات السورية في عنابرها عبر البحار ولتعود الى موانئها مشحونة بالواردات التي تحتاجها هذه الامة، وفي هذه الفترة التجارية

الرابعة تفتحت عيون الامبراطورية السورية نحو الزعامة السياسية في هذا العالم وحولت طائفة من سفنها التجارية الكبيرة الى سفن حربية بغية الفتح والاستعمار واخذت الامور تمشي بشكلها الايجابي الى جانب هذا الاسطول الحربي ، وبهذه النتيجة تم للعالم قاطبة على يدي العبقرية السورية اضافة سلكين الى الاسلاك الاخرى ، الا وهما السلك التجاري ، والسلك السياسي (عبر البحار) وهناك الفنون الحربية البرية قد احتلت على ايدي العسكرية السورية القديمة اسمى المراتب الفنية واخص بالذكر منها ، كيفية تحريك الجيوش في ميدان القتال ومن الانصاف للواقع نقول : ينبغي ان لا يغيب عن اذهان البشر ان الخطة الحربية العظيمة (حركة الالتفاف) المتبعة لدى الجيوش الحديثة هي من مبتكرات الدماغ الفينيقي السوري

وهناك ايضاً مجال العلم والفن والفلسفة الذي اوجده هذا الدماغ وسجل فيه روائع الشعر وسحر البيان ومبادىء الفن والحكمة والفلسفة ؛ حتى ان المنصفين من المؤرخين ذكروا ضمن سياج من اجلالهم لمواهب هذه الامة فضل ثوراتها الانسانية الجليلة على الامم برمتها ، وذكروا ايضاً كيف ان اصحاب القناصة اليونانية كانوا يأتون الى ساحل صيدا وصور ويقتنصون اشخاصاً فينيقيين ويعودون بهم الى بلادهم ليعلموهم كل مفهوم انساني راقي ونافع بالنسبة لوجود الانسان فوق اديم الارض

ولا ريب ان المثقفين المبثوثين في الدنيا الانسانية يذكرون الان وقبله زعامة الفلسفة اليونانية على فلسفات هذه الدنيا ، وكذلك يذكرون بحكم مبدأ الانصاف ان الفضل في ايجاد هـذه الزعامة الكبرى يعود الى الدماغ السوري القديم العجيب بتفكيره والمظم بانتاجه في معارض الحياة الانسانية كافة

هذه جولة خاطفة في اطراف عبقرية امتك وبلادك السوريين العرب يا ايها السيد الوزير حدانا للقيام بها الرغبة منا في دعم حنين المواطن السوري العربي الى هذا الماضي التمدني الجليل ، وفي دعم حنين المدنيات الحاضرة الى رؤية من تفضل عليها وانار امامها طرق الحياة ليحتل مركزه الحضاري اللائق بـه

وبثوراته العظيمة الانفة الذكر

وكذلك ترمي الجولة التاريخيه نفسها الى مضاعفة لومها (على غضّ نظرك عن الابقاء على المساوئ والمخازي) المنوه بها في هذا الفصل ، لانه ليس من اللائق بل ليس من المنطق المصلحي المعقول ان يظل هـذا النهج الدراسي الابتدائي في عداد المناهج الحية ، ولعلك تتأثر بوطأة هذا المنطق وتدفع عن منكبيك لوم امتك وبلادك ، وتبادر الى نسف هذا النهج واقامة بديل عنه في مكانه كي يحصد النشؤ ما يلذ لنفسه وما يطيب لها في صعيد النسبة للعقل المهذب الذي ابدع الابداع كله في عموم ما ابتكره من ادوات التغذية للنمو الروحي والجثماني الذي يعتبر قواماً انسانياً للنوع الانساني واداة رئيسية ساعدت كثيرين من الامم على توليد تلك المبتكرات الانسانية النافعة

انت تعلم اكثر من سواك ، ان مطلق انسان مهذب يطمح الى دفع الفضائل والاعمال المشكورة الى وطنه اذاما تسلم منصباً كبيراً كمنصبك ارضاءاً لكبريائه الشخصي الذي يحبب الى نفسه استئناف عمليات هذا الدفع ليصبح غدا دالة على المنصفين من ذوي الاقلام وبصورة خاصة المؤرخين منهم ليشعروا بقرارات نفوسهم بان واجباً يصعد من تلك الاعماق يومئ اليهم ، القيام بواجبات ادخاله في دنيا التاريخ الخالدة

ان صاحب المواهب الكبيرة ، يا ايها السيد الوزير ، تفرض عليه مواهبه (اذا كان مخلصاً) ان يستثمر مواهبه في وجوه النفع لقومه وبلاده ، واذا مـا كان الجود محيطاً باردانه ؛ والكسل مخيما عليه ، والاكتفاء بزاده المعنوي المحدود فانه ما خرج عن كونه واحداً من الاحاد من الناس ، وقد يسقط بمواهبه من حساب ذوي الصفات الممتازة الفعالة

ولكني كغيري من المواطنين المدركين يلفون في مثيلك من القلائل قطباً من اقطاب هذا الميدان التربوي الثقافي ، ولذلك اذا ما حملت نفسك قليلا من العناء في تفكيرك لايجاد تدبير يقي وزارة المعارف الملقاة بين يديك النضـاضة واللائمة ، وتجنب النشء تكرار سقوطهم في مهاوي المخازي والمساوئ التي اتيت

على تبيانها في ظل الصخب والاستهجان، فان كبريائك الشخصي لن يصاب باي اذى حيث ان العقل المهذب قرر وفضل العودة عن الخطأ الى الصواب بل اعتبر هذه العودة المباركة في عداد الفضائل التي تعد تاجاً جديراً به وخليقاً بك ان تزين به مفرق رأسك .

وهناك ناحية اخرى لا تخلو من الاهمية وهي قمينة لان تحظى بقسط وافر من عنايتك لانها تمت الى وزارة المعارف بصلة النسب

ان في البلاد اشخاصاً ليسوا قليلي العدد قد اترع الله الكريم نفوسهم بالمواهب الطبيعية الانسانية الممتازة حرموا من الانتفاع من الاصول الثقافية المدرسية بسبب ظروفهم الشخصية التي قسى عليها الفقر والقى العوز عليها اوزاره ، وقد اضطرهم للانصراف نحو احتراف مختلف المهن الحرة ليتمكنوا من تأمين اقواتهم بما فيهم عائلاتهم واولادهم ، وهم يتوقون بلاغة فائضة في ساعات فراغهم لان يتلقوا دروس مختلف العلوم والفنون في كنف استعداد كل واحد منهم في مجال الاختصاص .

الا تعتقد ان العقل الفاعل في هذا العالم اوجد بعد دراساته الطويلة قواعد العلوم والفنون كي يتبادل الانسان مع اخيه عن طريق الاحاطة بها اساليب الخدمة، اولا تفضل بعد ذلك ان تخلو مع من تثق بهم من كبار موظفيك او مع من تختارهم من الخارجين عن مناطق نفوذ وزارتك ، بغية اعطاء الطريق لافكاركم النيرة لتسجلوا فوق اديمه خطواتكم الرصينة المنتجة بالنسبة لهذا الغرض الانساني المعقول. اولا تجد من صائب الرأي ان تستصدر مرسوماً جمهورياً يأذن بتأسيس معهد خصوصي لذوي المواهب الذين عبرنا عنهم بهذا الحديث ، على ان تكون اوقات الدراسة المنوعة فيه تتناسب مع ساعات فراغهم

ومن الطبيعي اذا ما وضعت الخطوط الرئيسية الدراسية فيه بنسبة متعادلة مع اعمارهم وظروف اشغالهم ، وبعبارة صريحة واعية نقول : ان هؤلاء الموهوبين لا تتوخى المصلحة العامة ولا يهدفون هم ايضاً الى توظيفهم بعد انتهائهم في معاهد علومك وفنونك لانهم قد يتمكنون من ان يجدوا لثقافتهم الجديدة امكنة

في مجتمعهم العام يتشاطرون مع اربابها المنافع المادية والمعنوية

ولكن لنفترض ان معظمهم او كلهم بعد ان يحصلوا على شهاداتهم من هـذا المعهد الخصوصي لم يستطيعوا ان يجدوا اعمالاً جديدة تتكافأ مع ثقافاتهم الجديدة ولم يريدوا ان يتركوا صناعاتهم التي قنعوا بما تدره عليهم من الخيرات ، فالواجب المسؤولية الثقافية الملقى على عاتق رعايتك ، وانت العالم المفضال ، يقضي عليك لان توفر وسائل التغذية العلمية والفنية لكل من يأنس بنفسه الاحتياج لهذا الغذاء .

وخدمة للحقيقة وللواقع المواهي الذي ينساب جيئة وايابا طوال الليل والنهار في نفوسهم احدثك على سبيل المثال بادئاً بذوي الميول الادبية والموسيقية من هؤلاء الموهوبين من البؤساء الذين قد تكون مررت بانتاجهم وانت تشعر في نفسك بانهم مزودون بصفات هي على جانب من الروعة والجمال ، وقد يكون من الثابت انك في هذه اللحظات متحسس بلواعج العطف والحنين عليهم بسبب رجات فكرية والتواءات فنية موسيقية رافقت انتاجهم لانهم لم يتلقوا اي نوع من الاصول الادبية والفنية ، وهناك موهوبون آخرون شرعوا ينتجون ولو كان انتاجهم مصاباً بغبار النقص ومعايبه في شتى الحقول الانسانية في حين انهم على نواحي صناعاتهم منكبون ؛ وكذلك انني اشعر بانك تخصهم ايضاً بعطفك وحنينك .

وهناك سواهم من هذا الطراز الطبيعي المرغوب بالرغم من النقصان الطبيعي المحيط به ، وقد يشتغل البعض منهم في مهن عادية جداً ليكسبوا نفقاتهم اليومية بجدهم ونشاطهم ، الا انك اذا ما استصوبت ادخالهم في نطاق ذينك العطف والحنين ، فان احوالهم الشخصية العادية لا يجوز ان تكون حائلا بينهم وبين ما يتوخون في هذا المجال الانساني المفيد حيث ان الموهـــبة الفاضلة ملك ناموس الوراثة يهبها لمن يشاء ويحجبها عمن يشاء في معرض النسبة التناسلية

لعلك يا ايها السيد الكبير قد اصابك الضيق بسهامه رغم عطفك وحنانك عليهم حيث انك اذا ما قررت استصدار مرسوم جمهوري باحداث هذا المعهد

الخاص بهؤلاء المتسمين بالصفات الفاضلة فانك تصبح مدعواً لان تتحمل مسؤولية اضافية هي دون ما ريب على جانب كبير من الاتساع والجسامة ؛ بيد انــــك (وانت في الطليعة الاولى من مصاف رجال الخير والايجاب) عامل في ظل المصلحة الوطنية الكبرى التي توسمت بك الخير كله واعتمدت على ذهنيتك العظيمة كي تبتكر اساليب النفع الانساني التي اذا ما احدثتها ورعيت تطبيقها بحكمتك واخلاصك فان الغذاء الروحي سيعطيك قسطاً وفيراً من منعشاته التي ستبعد عن روحك الجبار العامل الصابر متاعب هذا المشروع الحيوي واوصابه ، ويبدو جلياً ان الشاعر العربي الحكيم قد هدف الى امثالك من كبار القوم حين قال في مناسبة من مناسبات كبريائه ؛

اذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الاجسام

بقي علينا شيء آخر له اهميته وصميم ارتباطه بنطاق صلاحيتك ، نعم ان المسؤولين عن تسليم الكتب المدرسية ومشتقاتها الى رؤساء مصالح المعارف في محافظات الجمهورية السورية يتأخرون او يتباطئون في وضعها تحت تصرف الاخيرين ليقوموا بدورهم ببيعها الى طلاب مدارسك الابتدائية والثانوية حيث يطلع عليها العام الدراسي وتمضي منه (ومن حساب الطلاب طبعاً) الاسابيع وليس لديهم اثر لهذه الكتب

والجدير بالذكر ان هذا التأخير ليس بالامر الحديث بل اوشك ان يكون ملازماً لكل سنة ؛ وهذا ما جعل المواطنين ولاسيما اولياء الطلاب منهم يتساءلون عن هذا التأخير او بقول آخر ، عن هذا التباطؤ المفتعل الذي سبب اختلاس جزء ليس بقليل من اوقات الدوام المدرسي ، ولذلك كانت نسبة النجاح بين عموم الطلاب ولا سيما المبتدئين منهم تتضاءل في كل عام يمضي عن العام الذي سبقه

وليس بمدهش اذا ما رافق هذا التساؤل الحق العادل شيء من الشكوك والريب عن هذا التأخير ، او ذاك التباطؤ المفتعل. لان العقل يفهم ان المسؤولين عن هذه الكتب في وزارتك ، كان وما زال الواجب يقضي عليهم بالمباشرة بطبعها قبل موعد العام الدراسي بمدة تكفل انجازها ليصار ارسالها وتسليمها الى رؤساء

مصالح المعارف في محافظات الجمهورية ، وعندئذ يغدو بمقدور هؤلاء الرؤساء الافاضل ان يوزعوها الى اصحابها بعد قبضهم اثمانها الباهظة ذات العبء الثقيل على جيوب المستورين ومتوسطي الاحوال المادية ، بل كانت في بعض الاحيان مانعاً حال دون متابعة فريق من هؤلاء لدروسهم فوق مقاعد مدارسك الابتدائية والثانوية

انت تعلم يا ايها الحساس المخلص ، ان السواد الاعظم من مواطنيك في اراضي الجمهورية يتكونون من اباء واولياء معظم الطلاب الموصوفين من الوجهة المرتبية المادية (بمتوسطي الحال والفقراء) فضلا عما هناك من اليتامى وامهاتهم اللواتي اصبن بفقدان ازواجهن وقاسين بسبب هذه الفجيعة مرارة العيش وضنك الحياة باشق انواعها ، الا تتحسس بضرورة العطف على ذوي المرتبة الوسطية وما يليهم من الفقراء ، وتبادر الى اصدار اوامرك اصحاب الاختصاص من الموظفين في معيتك لان يستأصلوا من اذهانهم ذهنية الاتجار والكسب على حساب العلم والمعرفة ، ولا سيما انك مدرك اكثر من سواك ان تلقين المبادئ العلمية لذوي الامية والجهالة وبصورة خاصة الاحداث امر روحي وتهذيبي فرضته مقتضيات الحياة الانسانية في الامم الراقية كافة

الا تجد ان من الاجرام ان تاجر اية حكومة متمدنة في العالم حين تلزمها مسؤولية الرعاية ان تبث تلك المبادئ الفاضلة الوضاءة بين رعاياها ، اولا تجد ان حكومة من هذا النوع المادي المشبوه تلصق بسمعتها وبسمعة المجتمع القومي الامتهان وغيره .. وبالتالي الا تتحسس ان استرسالها في هذا السبيل المادي الرديء يقيم السدود والاسلاك الشائكة امام احداث بلادك وغيرهم من الاميين والجهلة حين يحاولون الاتجاه نحو ينابيع العلم والتهذيب ..او لانت واجد بحكم هذا التوالي المشبوه والممقوت ان الحرمان والجهل غارسان في طريق انشاء مدنية امتك وبلادك العقبات الكأداء ، بل او لانت واجد ان تلك الغرسات المشؤومة الكؤودة ستغدو في مستقبل الايام قريبها او بعيدها ثغرات بشعة في جسم تلك المدنية السائرة في مسلك الانشاء والتعمير .. واما المعوزون من طلاب مدارسك

الابتدائية والثانوية بسبب افتقادهم آبائهم واوليائهم . فهم جديرون الجدارة كلها وانت المدرار بنبلك في مجالات الحياة الانسانية لان يتلقوا قسطاً من كريم اخلاقك وعظيم تحنانك كي يتمكنوا من دفع الآلام المحيطة بجنباتهم التي نجمت عن سهام اليتم المقذوفة الى اكبادهم عن طريق طيش الزمن وعدوانه . وليصبح بامكانهم ان يواظبوا على الانصات فوق مقاعد الدراسة النظامية لتوجيه وتلقين الاساتذه .

ان هؤلاء الاحداث وسواهم من الطلاب الثانويين قد شملهم الاعفاء المادي حين يتناولون كتبهم المدرسية وغيرها في كل بلد يحترم نفسه

اننا نذكر ان هذا الاعفاء المادي كائن في صلب احد قرارات وزارة المعارف في بلادنا ، ولكن تطبيق هذا الاعفاء ينبغي ان يسير على قدم المساواة نحو الذين استقرت في صميم اكبادهم سهام اليتم . ونحو الذين قد قست على اوليائهم الاوضاع المادية المضطربة المتأخره التي كانت وما زالت ولن تزال سبباً رئيسياً في تدهور الفضيلة الى هوات الانحطاط والاهانه . على حين ان الفضيلة لا ذنب لها البتة ؛ غير ان صاحبها الجانح الى تأمين بقائه مع من يعيشون في كنفه قد يضطره هذا الميل الطبيعي الذي لا بد منه الى القائه مع فضيلته في المهاوي والمزالق المملوءة بادران الحياة وعيوبها ، ونعود ثانية لنقول عن الجوهرة الاخيرة لا ذنب لها حتى تعاقب بهذا المصير الغادر ؛ غير ان الاسف يقض منها المضاجع لكونها لا تستطيع ان تنفك عن صاحبها لان النوع الانساني مزيج من مادة وروح

والان يا ايها السيد الوزير قبل ان استودع وجهك الابيض البراق بفعاله في معرض النقاش الذي استأذنتك في اجرائه في ديوان حكمك وسلطانك اشعر برغبة تتجاوب بين جنبي وتشير الي لان احدثك عن المعاهد الخاصة التي اعطيتها الاذن القانوني لان تستقبل الناشئين من ابناء قومك وبلادك في صفوفها الابتدائية والثانوية وان تطبق عليهم برامجك الحكومية برمتها مع الحرص على فعل كل ما اردته وتريده من الوصايا والارشادات في مطلع كل سنة دراسية

ومن الانصاف ان نذكر جهود المعاهد الخاصة التربوية والثقافية التي مافتئت

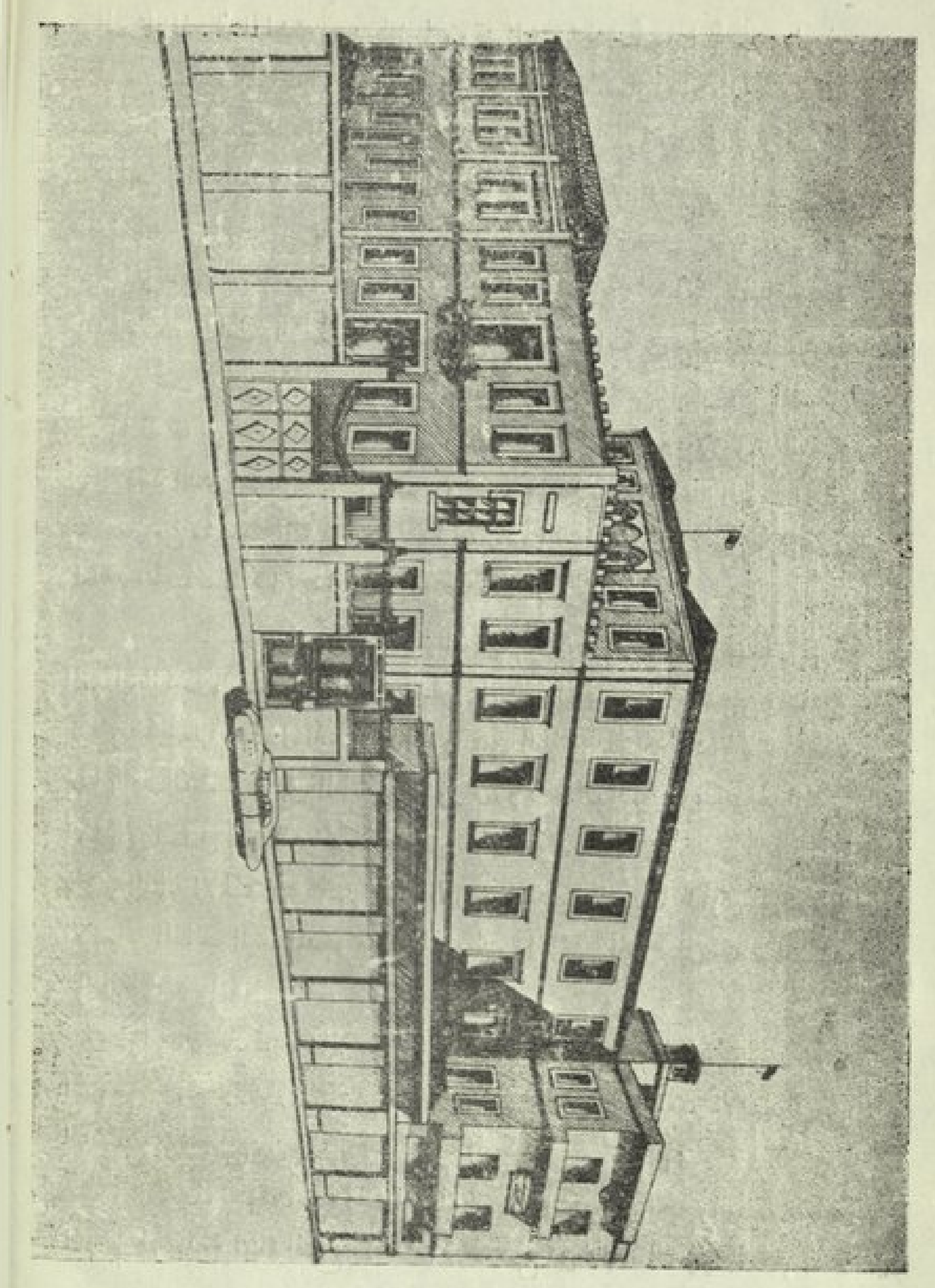
تتوالى على اذهان الناشئين من طلابها ، وقد اثبتت اخلاصاً ونشاطاً ملحوظين في ظلال من تشجيع المواطنين واطرائهم وهي آخذة بالانتشار والامتداد ولذلك تمكنت من ان تستوعب الالاف الكثيرة في صفوفها من الراغبين في اغتراف ما تصدره من ينابيع العلم والمعرفة في شتى انحاء البلاد السورية ؛ وطبيعي اذا ما كانت تلك المعاهد الخاصة المحترمة القائمة بمهمتها التهذيبية التعليمية في حماك ورعايتك تتوقع المزيد من عطفك وتشجيعك لتواصل بدورها تأدية واجباتها الانسانية هذه

وبهذه المناسبة الانصافية الباحثة عن المعاهد الخاصة في الجمهورية السورية ارى الواجب يدفعني لان اسجل كلمة حق وانصاف ضمن اطار من الشكر والاجلال لقدس الاب استيفانوس جوزيف سالم مدير ثانوية الارض المقدسه في اللاذقية الذي استطاع بفضل سهره وعنايته واخلاصه وانسانيته البعيدة المدى ان يجعل من مؤسسته التربوية التعليمية هذه معهداً احتل الصدارة فيما بين عموم المعاهد الخصوصية هنا وهنالك من بقاع الوطن العزيز

وبعد ان تسلم قداسة الاب استيفانوس جوزيف سالم مديرية هـذا المعهد الفواق بانتاجه التربوي التعليمي ؛ اضفى على تلك الادارة الكبيرة من انسانيته الرائعة ما جعلها تستقبل اليتيم المحزون والفقير البائس المسكين مجانا لوجه الله ، كما اعتادت ان تستقبل بقية الطلاب الميسورين، ولاجدال البتة ان قداسة هذا المدير الانساني الجليل هو الذي تمكن بفضل حكمته وتصرفاته الادارية من تاسيس (دار العناية الالهية) في ضمن ثانوية الارض المقدسة خصيصاً ليأوي الى كنفها الانساني الطالب اليتيم المفجوع بفقدان والده والبائس الغارق في خضم الضنك والفاقة

والجدير بالذكر مع الاحترام الجزيل ان قداسته ـ اطال الله بقاءه ـ لم يرد ان يطلق على تلك الدار لفظة يتيم ، حفاظاً من قداسته على الشعور الانساني من ان يصاب بأي جرح من الجراحات المؤذية المبكية

في خلال سنوات ستة استطاع هذا الرجل الكبير بمواهبه والعظيم بانعكافه الدائم على خدمة ابناء النوع الانساني ، ان يسبغ على معهده الثانوي باللاذقيـــة



منظر ثانوية الارض المقدسة

قيمة تربوية وثقافية ندر قرينها ، وعز مثيلها

ولا عجب اذا ما رغب العقل المهذب الفاعل في عرض استنباطه حيال شخصية مدير ثانوية الارض المقدسة ذات الفرع الداخلي المعظم قداسة الاب استيفانوس جوزيف سالم لان الشخصيات الكبيرة المنتجة المفيدة امثال قداسته لها حقوق باعناق ذوي الاقلام المنصفين الذين يتفيأون في عموم هنيهات تفكيرهم اغصان شجرة الوفاء ؛ لان مبدأ هذا العقل قضى في العصور المتمدنة القديمة وما انفك يقضي في الجيل الحاضر المدهش بارتقائه الفكري الانساني بضرورة انصاف ذوي الفضيلة والطهر الذين يذيبون صفاتهم الخصبة كي يضيئوا السبيل امام العابرين من البشر

ومن الثابت المؤكد ان قداسة الراهب الدائب على خدمة ابناء نوعه الانساني ضمن مبادىء شتى العلوم والفنون والفلسفة هو من الطراز الاول اذا ما صنف القلائل الكبار الفاعلون فوق صعيد الحق والخير والجمال ، واذا ما خصصت صاحب القداسة المدير الاب استيفانوس جوزيف سالم بهذه العاطفة الصادقة ، فلانني واقف على ما يقطفه نشؤنا من الطلاب في معهده من الثمرات التربوية والعلمية والفنية ، ومن اجل ذلك احس في قرارة نفسي ان واجباً يدعوني لان ارجوك باسم الوفاء ان تخصه وسواه من القلائل الكبار بلفتة من لفتاتك الكريمة المعهودة لانه حقيق بها وجديرة به

٢ — دور الآباء والاولياء

بعد ان استأذنا وزير المعارف بتسجيل مرحلة النقاش التي عبرت ديوانه ، وجب علينا ان نوفر لديه امكانية تعاونية تفسح له سبيل الاعتماد حين يكون مستأنفاً دفع خطاه بغية نهوضه في الناحية الاساسية الخطيرة (التربية الاجتماعية) لان الحكومة المركزية ليس بقدرتها ان تقوم بمشاريعها الاصلاحية لوحدها شأن الحكومات جميعها في الامم المتمدنة التي نال ابناؤها اقساطهم من الشعور بالمسؤولية نحو الحياة المشتركة فيما بينهم ، ونحو المصير المشترك الواحد الذي يشد بعضهم الى البعض الآخر

نعم ان طبيعة النشوء الانساني استوجبت في كل العصور اطلاقا من الانسان ان يتفاعل مع اخيه في الامور الصغيرة والكبيرة وفي السر والعلن ، ويتضح بكل جلاء من ضمن هذا التفاعل الانساني الذي لا مفر منه، ان التعاون والتفاعل جزءان متممان لبعضهما البعض ، وهما ان اختلفا باللفظ والكتابة ، فهما يعطيان معنى واحداً

ولهذا نلاحظ في هذا العصر ان اظلال الحكومات تكاد تكون في ميادين اعمالها الداخلية مفقودة اذا ما اردنا ان نتجاهل وجود شرطي السير الذي يرمز بشكله النظامي الى وجود الحكومة امام الناظرين ، حيث ان هذه الحكومات الراقية تمثل دور المشرف اليقظ الامين على رعاياها الذين اقتسموا الاعمال العامة على الاسس التعاونية فيما بينهم مستخدمين رساميلهم المادية في وجوه النفع المتبادل فيما بين الانسان واخيه من رعاياها الذين اذنوا بحكم مفاهيمهم التربوية والثقافية المستقيمة للفكرة التعاونية لان تستوطن في اذهانهم ، ويبدو للقارئ النبيه اننا توخينا من سياق هذا الحديث ضرورة بث المبدأ التعاوني المفيد بين ابناء البلاد السورية في عموم ما يحتاجونه

وقبل ان نتوجه الى اباء الطلاب واوليائهم بعد العون للمصلح التربوي وزير المعارف يجب علينا ان نهتم بهم وتلقنهم الوسائل المقنعة التي ان اعطت ثمارها في نفوسهم ، فلا ريب ان الاستعداد لتصدير هذا العون عنهم سيكون تاما وجاهزا

والان يتطلب السير منا في هذه المناسبة ان نفكر يا ايها السيد المصلح بطريقـــة تساعدك على الافادة من استعداد هؤلاء الاباء والاولياء الذين ليس بمقدورهم ان يجيبوك على طلب مساعدتك بالنسبة لمهمتك الجليلة الشاقة لان معظمهم لا يملك اي اثر من اثاره

ولكنك اذا ما اوجدت في كل بلدة من بلادك مركزاً يتصف من الوجهة الشكلية بالنوادي ليحضروا اليـــه في مساء كل يوم من الاسبوع حيث يلقي موثوق من قبلك على اسماعهم (الوسائل المقنعة) بفوائد مشاريعك الاصلاحية التي ستعود الى فلذات اكبادهم

وليس من العسير عليك اذا ما اقنعت صاحب الدولة رئيسك باصدار نشرة دائمة نصف اسبوعية وجندت لها بضعة من المختصين بشؤون التربـــية العملية ومنافعها ، واذا ما مضي عام واحد على تنفيذ هذا التدبير ، فان الاستعداد يسعى الى حنايا نفوسهم متخطياً طريقه شيئاً فشيئاً الى ان ينتهي اليها مستقراً باسما مطمئناً في اعماقها وبعدئذ يتسارع الاباء والاولياء في تقديم عونهم اليك ؛ وذلك سيتجلي امام ناظريك ونواظر المواطنين جميعهم بان المشقة التي شعرت بالمخافة منها حين شرعت بمهمتك التربوية الاصلاحية قد اخذت تسلك طريق الانكفاء الى حيث لا رجعة لها بعده ؛ ولعلك متجه نحو المشاطرة للرأي المتجسد الواضح بعد ذلك في مساعدتهم الدائمة التي ستضاعف النواحي النفسية الاستعدادية بنفوس ابنائهم الطلاب

ولا ريب انك حين تصل الى هذه النتيجة المرغوبة ستجني ثمرتين عظيمتين بالنسبة لشخصك المناضل ذي الكبرياء الطبيعي الجاثم في قرارات نفسيات امثالك النادرين ، واما الثانية منها ، فهي بينة ببروزها في نفوس اولئك الاباء والاولياء الذين ستدفعهم الرغبة في كسب المنافع الروحية التربوية الى مواصلة قيامهم بتلك الواجبات تجاه ابنائهم ، ولعلك ايضاً سائر في ركاب هذا الاعتقاد الهادف الى الاستيطان في احضان اليقين ليلقى برنينه في سمعك واسماع بني الانسان قاطبة . بان الطريقة الانفة الذكر اذا ما اتبعت مع طلاب امة ناهضة كامتنا ، فان النجاح لاحق بناهجيها لا محالة

٣ — الاخلاق النفسية الواحدة هي السياج المكين للاوضاع الداخلية والخارجية في كل امة راقية

اوشكنا ان نتدرج مع معاشر النابهين من القراء نحو الاقتناع بان معظم فقرات فصول هذا الكتاب يمت بعضها الى البعض الاخر بصلة النسب ولو ان المناهج التي يسير عليها الكتاب بغية امتلاكهم ناصية النتيجة العلمية تتصف بسيماء الفروقات القريبة والبعيدة ، وكذلك القارئ النجيب المميز يشعر بهذه

الاحاسيس النسبية المتباعدة ، وهكذا نجد معظم الاشياء الصادرة عن الانسان والاتية اليه تتسم بروابط النسب والقرابة في كنف المنطق النسبي المعقول الذي يفرقها عن بعضها البعض في قسطاسه المستقيم ؛ ولهذا نرانا في هذه الفقرة الثالثة من الفصل الثاني كاننا لم نزل في نقاشنا المأذون في ديوان وزير المعارف ؛ لان وحدة الاخلاق النفسية في اية امة من الامم باسرها هي وليـــدة الاحاسيس الواحدة التي تتحرك في ابنائها

ولا جدال في ان هذه الوحدة الحسية في الامة هي ناجمة عن المبادئ التربوية الصحيحة المغروسة في ابنائها عن طريق الاصول المدرسى والبيأة المنزلية وبالبداهة تتجلى امام نواظرنا قداسة مهمة الوزير ونتائجها العملية المزدانة بتاج محبة الانسان لذاتيته وبرهبته وسلطانه

ولذلك يا ايها السيد الوزير اذا ما وصفنا مهمتك التربوية الاجتماعيـــة والثقافية بالعظمة والخلود ، فلاننا نود من الصميم اذا ما غدوت باراً وفياً لمضامينها ان نضعك عن طريق مدادالانصاف والخلود في طليعة العظماء والمؤسسين للجدار الانساني الراسخ الذي تتحصن وراء مناعته وصلابته جوهرة الانسانية العامة المهذبة ، ومن الصواب والانصاف ان نذكرك ذا عمل دونه اعمال سواك ، وذا ميزة انسانية كبري دونها ميزات اترابك ، حيث انك باقدامك على تنفيذ تلك المضامين ترفع من شأن امتك بين شؤون الامم الراقية الناعمة في فردوس الحياة المنظمة الهانئة فوق اديم اليابسة

اجل يا ايها المرشح لنوال وسام العظمة والخلود من ضمير امتك وبلادك في حالة تأسيسك ذاك الجدار الانساني الراسخ ، ان الاخلاق النفسية الواحدة اذا ما بدأتها واكملت نهايتها في هذه الديار التي سئمت البعد الكائن بين شعور بنيها ، وملت الانقسام البين الجلي في اتجاهاتهم الداخلية والخارجيـــة ، فانك ستقبض بكلتا يديك على ازمة الزعامة الكبرى اذا ما ادرك المنصفون من المؤرخين ضرورة تسجيل اسماء المحسنين في عالمهم التاريخى الخالد

ولعل القناعة سائرة في طريقها لتضع امام ناظريها هيكلك الانسانى وتلقي

بردائها القشيب عليه وتقول لك بصوتها الناعم الساحر العجيب . لم لا تتحرك من سباتك وتنهض باعباء مسؤوليتك الكبري . وانت الذي حط اليقين رحاله حيال ذهنيتك . بان الامراض والشوائب التي تغلغلت في نواحي امتك ما زالت تعرقل سير امور ابنائها وتعوقهم في مزاولتهم حتى لاشغالهم العادية ، ناهيك عن الاهم من امورهم في الساحات الداخلية والخارجية الذي يتعرض للاعوجاج والاضطراب وللانسياق وراء العسر وفي معظم الاحايين وراء الفشل والخسران

وكاني اسمعها وهي تردف ثانية وترن ازاء سمعك بصوتها الساحر العجيب لم لا تنهض يا ايها السيد الوزير من كبوة تفكيرك المضطرب ، بالنسبة لامتك المعتلة المصابة ؛ وتوزع توجيهاتك التربوية الخالية من الشوائب ؛ وانت تدرك ان توفير عناصر التكوين للاخلاق النفسية الواحدة في ابنائها امر ضروري لا بد منه ، لانه السياج الوحيد الجاثم فوق جوانب الامن المستتب في ربوعهم ، والذي يعتبر ازاء الاعراف الاجتماعية الدولية شرطاً اساسياً للدولة المتمدنة في العصر الحديث الراقي

وبالتالي يري اصحاب هذه الاعراف في تلك الوحدة الخلقية الواقية سياجاً داخلياً يساعد القوة الدفاعية المسلحة على دفع اي عدوان مسلح اذ ما فكر الغزاة المستعمرون ان يقذفوه بقصد الاكتساح والاحتلال المسلح . كما انهم يلفون في هذا المزيج العظيم من الدفاع ـ امتزاج الروح والمادة ـ دفاعاً عسكرياً مجيداً لكونه مدعوم بشعور العقيدة والايمان الذي سيظل ناطقاً باذان الجيش واذان الشعب قائلا لهم : دافعوا عن ارث الاباء والاجداد ، دافعوا عن بقاء اولادكم واحفادكم وذراريكم ، واذا ما اجتاحكم العدو فلم يعد لكم ارض تتفاعلون فوق اديمها كما يحافظ ابناء الامم على بلادهم حفاظ الانسان على نفسه

واذا ما آثرت هذه القناعة ان تستأنف رنين صوتها الساحر العجيب. ثانية وثالثة ـ ان في التكرار بلاغة ـ في هذا المجال التربوي العظيم ؛ لم لا تتهيأ يا ايها المسؤول الجليل ، بعد ان ارتضيت لنفسك هذا العبء الثقيل ، وتعمل على تحرير وطنك الغالي من عدوات المستعمرين واضرارهم ، بل لم لا تندفع نحو امتك

المريضة بدماغك المترع بمبادىء العلوم والفنون ؛ كما يندفع الطبيب المخلص للانسانية نحو ذوي الامراض السارية الخطيرة وغيرها موزعاً عليهم مقادير فنونه النسبية ووصاياه الذهنية ذات المرونة المكتسبة التي لا مفر من التقيد باحتساء الاولى وبتطبيق الثانية على الوجه الصحيح ؛ ولاسيما انت تدرك ان الجبن والتردد ليسا من صفات الاقدام في كل ميدان وساحة دون ما استثناء ، بيد اننا اذا ما اعدنا الكرة عليك في ظل الالحاح المصلحي المعقول ، فاننا على حق وعـــدل وانصاف في جعل طابع العتب واللائمة مرافقاً كالظل ؛ لمراحل السؤال القوي البليغ .

نعم ان وطن ابائك الجمهورية السورية الحاضرة يتطلب منك ملحاً ان تفكر ملياً بهذا الامر الذي بلغ وما زال في طور البلوغ لنهاية الحدود لدى الامم كافة وهو لا علك اي نوع من انواع الاصطبار على تململك وترددك واحجامك لان كل من يتصدي لمهام الاصلاح والتعمير ؛ يفرض فيه ان يكون شجاعاً مقداماً ليبعثر العقبات ـ مهما كان شأنها ، ومهما عظم مصدرها ـ تارة يقضي انتقال خطوات المصلحين بطرح طائفة منها الى اليمين وتارة اخرى الى اليسار وحيناً يقذف ما يعترضه في اتجاه قدمه الرصين الجريء ، وفي الحين الاخر يتخطى ما تبقى من اشوا كها هذا القدم المصلح الجبار الذي يملي عليه واجبه الاصلاحي الاقدس ان لا يلوى على شيء وهو ينقل مخطوطاته من فوق القرطاس الى الواقع المنظور

نعم، نعم ، نحن هنا في بلادنا سوريا العزيزة بمسيس الحاجة الى هذا النوع العظيم من المصلحين الذين يخجلون من التهرب مما هي عليه اوضاع اممهم الملحة بالدرس والاصلاح ، وكما يبدو لذوي الافهام ، ليس هذا الاستحياء آتياً عن الطريق الشكلي بل هو صاعد من مبلغ قدرتهم على استقبال الامور الكبيرة كسابق عاداتهم في الترحاب بالصغائر منها لانهم اختزنوا في جوانبهم امكانيات كل عمل اصلاحي مفيد ، ولهذا احتل ذهنياتهم المنطق الاصلاحي المعقول بعد ان عرفوه منبثقاً عن العمليات الاصلاحية ذوات الحدود القصية والاوصاب النفسية والجسدية

التي لا سبيل لنكرانها او تجاهلها ، الا ان العقول الناضجة الراجحة ما انفكت منذ احتضانها مبدأ النضوج العام تتولى تصريف الشؤون العامة الاساسية والثانوية اذا ما صعدت صرخة الاصلاح الى آذان ذويه ، ومن ضمن هذه النسبة العميقة اشعر ان اشارة منصفة تشير الينا لان نعبر بحديثنا المهذب قادة الاحزاب في سوريا على ضوء مفاهيمنا المتواضعة ، ونزاهتنا التي تتضح امام كل ذي بصيرة

ولذلك استودعك مرة ثانية يا ايها السيد الوزير في ديوانك الرحب الوقور ولا ادري اذا ما اجتذبتني الابحاث القادمة وطوارقها الى المودة الى عقلك القوي المدرار بادلته وبراهينه

اجل انني استودعك شاكراً ممتناً لالتزام جانب الشوق وانفذ ما ترغبه لواعجه المثيرة الي لان استأذن العقل المهذب الاعظم الفاعل في هذه الامة بغية الشروع بجواره والانصات الى ما يصدره من الرأي السديد حيال قادة الاحزاب السياسية المسؤولين عن كل عمل يقدمون على اجرائه

سبق لنا ان تكلمنا في الفصل الاول عن هؤلاء القادة المخلصين المحترمين واتيت على الدواعي التي استوجبت من مفاهيمهم الراقية تأسيس مبادئهم الحزبية وانصفتهم بشكل بعيد عن الهوى والجنوح الخصوصي ، والان ارى من الحق علي ان استأنف الحديث عنهم في جو خلت منه الشوائب والميول المشبوهة لان المدار الذي نحوم حوله يتوقف عليه مصير شعب بأسره ؛ ولا سيما اراني امامك وانت متربع فوق منصبك الذي تحيط باطرافه هالة المجد وسطوة الحق الذي نلت بعزائم رجاحتك وانتاجك احقية تصدير الاحكام العادلة

والان لا يخالجني اي نوع من الشكوك والريب في انك ستخصني بفيض من حكمتك وباقساط متوالية في توجيهاتك الصالحة المفيدة في هذه المناسبة النقاشية التي اومأت الي لان ابدأ بتسجيلها في كنف مبادئك وعظيم سلطانك

ولا اخالك يا ايها العقل الاعظم الا موافقاً حقاً اذا ما تقدمت الى زعامتك المنيرة الوضاءة بتصوير مختصر عن سير الاحزاب السياسية في بلادنا العزيزة

وليس بغائب عنك ان قادة الاحزاب السياسية المحترمين اوجدوا عقائدهم

الاجتماعية والسياسية بعد ان درسوا قضايا امهم وبلادهم بنسبة المشاعر المنبثقة عنهما والتي تعتلج في قرارات نفوسهم ، ولكن هذه العقائد الفاضلة نراها دائمة الاصطدام بما لا يلائمها في كثير من المواقف السياسية التي عبرت الساحات الداخلية

نبدأ في قضايا الطلاب الذين اعتنقوا مبادئ هذه الاحزاب التي تعد في عموم الامم الراقية المدارس العملية المهذبة التي اخرجت الكثيرين من السياسيين العمليين الذين اسبغوا النفع الجزيل الى مختلف النواحي الحساسة في اممهم ، ولهذا يجدر بالطالب الثانوي ان يتبنى ويعتنق المبدأ الحزبي الاجتماعي السياسي الذي يجده ضامناً لمصالح امته وبلاده في حقليهما الداخلي والخارجي ، الا ان هذا الطالب الثانوي الحزبي يستلزم منه المنطق المدرسي المعقول ان يتلقى توجيهاته الحزبية العامة ضمن نطاق معين محدود ليستطيع المثابرة على القيام بوظائفه المدرسية بقصد تمكين مداركه من ان تختزن اقساطها من مختلف العلوم والفنون لان امته تعلق على نجاحه كبار امانيها وآمالها ؛ ولكن هذا الطالب الحزبي قد خرج عن حدوده واصبح في كل مناسبة سلبية يندفع الى الشارع مع السواد من ابناء قومه اذا مادعت الحاجة الوطنية الى تسجيل غضبة او احتجاج

لا يختلف اثنان في ان هذا الطالب يتميز بصفاء نفسي عجيب ؛ وبحركة دائمة محببة الى القلوب غير ان المنطق المدرسي المعقول الذي يدور برصانته في رؤوس آباء الطلاب واوليائهم لا يرى لذلك الاندفاع اى مبرر من المبررات ، حيث انه كون سبباً مباشراً لذويه الطلاب في الانقطاع عن مقاعد الدراسة اسابيع ليست بقليلة الشأن والاهمية ، ولا ريب ان هذا الشأن وتلك الاهمية قد وضحا للطلاب قبل آبائهم واوليائهم في فترات الفحوص النهائية ؛ اجل ظهرت اضرارهما برسوب الكثيرين منهم ؛ وفضلا عن هذه النتيجة الضارة المعيبة ، قد سبب هذا الرسوب حرمان الكثيرين ايضاً من استئناف دراساتهم الثانوية ذات النفقات الباهظة اذا ما قيست بالاحوال المادية المتوسطة المحيطة بهؤلاء الاباء والاولياء الذين تشد على اعناقهم حبال الشدة من كل جانب

الا تراني يا زعيم العقول ، منصفاً في هذا العرض الموجز ؛ او لا تراني متكئاً على اريكة العدالة حين اتجه بلائمتي نحو قادة الاحزاب السياسية ، اجل كان بوسع هؤلاء القادة المحترمين ان يكتفوا بغرس مبادئهم الحزبية في نفوس الطلاب الثانويين وان يقيموا عن طريق تدابيرهم الادارية السدود والتخوم بينهم وبين الشارع لاجل معين من الزمن ليتمكنوا في خلال سنواته من استكمال دراساتهم لان امتهم وبلادهم ينتظرانهم بفارغ الصبر في ميادين الكفاح والنضال مزودين باساليب النفع الانساني المتبادل في مجاري هذا الكون ، بيد ان القادة كما تبين للناظرين ان الظاهرات التي اصطبغت بها اندفاعات الطلاب ما برحت تنطق بانهم استصوبوا وما زالوا يستصوبون لهم عبور هذه المسالك تحت ستار المصلحة العامة ، ولا عجب اذا ما نفذوا هذه الارادات الحزبية لانهم يتمتعون بصفاء نفسي مدهش عجيب وحركة مستديمة في مجالات الحق والخير والجمال

ولكن هؤلاء القادة الذين يتصدون لعمليات الاصلاح والتعمير ، كان من السداد والمرغوب فيه ان لا يخرجوا عن حدود هذا الواجب الذي يجثم مطمئناً في صلب هذا التصدي ، ليصرفوا آذانهم الى نداء شهواتهم الراغبة في استغلال الشارع واتخاذه مطية تمكنهم من ان يقتنصوا الفرص الشعبية التي لا يلبثون ان يجعلوها سلما للمجد والزعامة

ولا جدال انهم يعرفون اين هو طريق المجد والزعامة ، تلك الطريق الشاقة الطويلة التي تفرض على من يتبعها ويتخطاها ان يكون قويا باعصابه ورخياً مترئياً ببالة مهما انتصبت بوجهه الاشواك والبوائق لان الاكتفاء بالذخر المعنوي الذي تدخره نفسيته في معركة الاصلاح هو الثمن الذي يملكه

وبالتالي سوف تأتيه فرصة يستسنحها بمداولاته ليجعل من هذا الثمن فيض خير ونعمة على امته التي تجد عندئذ نفسها ساعية اليه لتلقى بناصية امورها بين يديه

حبذا لو ان القادة اهملوا شهواتهم المتقدم ذكرها ، وغضوا انظارهم عن الطلاب الحزبيين ليواظبوا على معاهدهم دون اشتراكهم مع ابناء الشارع في المناسبات السلبية الطارئة

حبذا لو استبدلوا طريقهم المشبوه بغبار الارتجال وتقصانه بطريق المجد والزعامة المنبثق عن قضية الوطن الكبرى التي تشير الى الشنوفين (في ولوج التاريخ) لان يتبعوه باقدام رزينة جريئة وبصبر لا ينبغي ان يوجد له قرين

وان كل زعامة تأتي عن غير طريق القضية الكبرى فهي اشبه شيء بغيوم الصيف التي لا تعتم ان تزول او بالحباب التي تعلو وجه الماء ثم تتبدد الواحدة بعد الاخرى الى ان لم تبق لها باقية

والعجيب بالامر كيف ان هؤلاء القادة النابهين المثقفين آثروا الانحراف عن هذه الجادة ، في حين انهم يعلمون اكثر من سواهم بانها الجادة الوحيدة التي لا ثانية بعدها بالنسبة لكل زعامة صحيحة اذا ما غدت هدفاً لذوي المواهب الاصيلة الملومة ، ولا يلبث هذا العجب ان يعود من حيث اتى اذا ما اتينا على ذكر الاسباب التي ما فتئت تذكي شهواتهم الجانحة بهم الى امتطاء الشارع وصخبه ليظفروا بزعامة ضعيفة مرجرجة خاوية ، ومن الثابت ان مصدر تلك الاسباب هي الامراض العامة الراسبة في النفسية العامة للامة ، وما هؤلاء القادة وسواهم من المواطنين سوى المجموع الذي يتكون من اصلابها ، وطبيعي اذا ما كانت هذه الامراض العامة قد ضاعفت المنطق العاطفي المهيمن على شهواتهم .

بقي علينا ان نشرع بحومتنا حيال المجلس النيابي السوري الحاضر الذي اثبت منذ ولادته انه افتقد من ضمن جنباته الغالبية الحزبية البرلمانية التي تستطيع ان تضمن استدامة الحكم الديموقراطي لصاحبها طوال الحين الذي قرره الدستور في كل امة من الامم الحية الديموقراطية

اجل يا ايها العقل الاعظم ، ان مجلسنا النيابي السوري الحاضر اضاع بحكم تعدد احزابه وفئاته السياسية مهابة تلك الغالبية وسلطانها ، وبحكم هذا الفقدان المخجل المعيب قد امتلك (اللااستقرار) بيمينه الاذن بدفع مساوئه واضراره الى الانسياب في نواحيه ؛ ولقد احتلت البراهين الدالة على هذا الواقع المخيف ، الارقام البعيدة التي بعثت الندم يحز بمديته الماضية في افئدة المواطنين الذين اعطوا ثقتهم لاعضائه ، والتي اثبتت تعريض سمعة الدولة السورية للتخديش على

ألسنة الامم الخارجية بما فيها المحافل السياسية الدولية

اجل لقد تجلى افتقاد الغالبية الحزبية البرلمانية في مهاترات السادة النواب ومشاحناتهم واحيانا في سبابهم وشتائمهم لبعضهم البعض حيث اصبح سوق الموجدات والضغائن في هذا الجو المشحون بالنقائص والادران اكثر رواجاً من سوق الفضائل التي تقود ذويها الى نصرة الاخلاق القويمة على كل مسبة وشتيمة، والى الاخذ بالطويات الحسنة الصافية واعلائها على مكتنزي الكراهية والعداء الخصوصي ؛ وهذه الحال السيئة المؤذية كانت وما انفكت في الامم الراقية سبباً مباشراً في اعلان ساستها المسؤولين الغاء مجالسها النيابية المتصفة بهذا النوع الرديء الضار ، ولكن الابقاء على مجلسنا النيابي الحالي ذي الثوب المرقع المعيب ناتج عن وجود نص دستوري يحول دون الغائه ما لم يمض على انبثاقه ثمانية عشرة شهراً ، ولذلك تجد الامة السورية نفسها المتجسدة بشخص رئيسها الاول منتظرة في اتون من الجمر تتلوى يمنة ويسرة وبطناً وظهراً في هذا الجحيم خلال هذه المدة من الزمن

ولكني اود ان استنير بمصباحك يا موزع السداد والحكمة لانني اقصدك بهذا السؤال . لنفترض ان تلك المدة المانعة الجبرية انتهت حيث لا رجعة بعدها، اترى من المعقول ان يأتي مجلس نيابي افضل منه

انني اقرأ بعين الفطرة عن طريق احد حاجبيك المرفوع سيمة السلب المنتقلة من الغمز الى الايضاح الذي استقر في اذان ذوي الفهم والاخلاص والصراحة حيث يلفظ درته اليتيمة الفريدة قائلا : ان كل بلد في العالم اذا ما اشتهر بنوه بانقسام مشاعرهم وتباعد مستوياتهم الذهنية ، فان تطبيق نصوص النظام الديموقراطي عليهم امر عسير لا ينتظر هضمه واستدامته ؛ بل ان الابقاء على سريان مفعوله المطلق فيما بينهم ؛ سيجرهم الى القيل والقال باسم الحرية ذات النهاية البعيدة في كنف هذه المشاعر المنقسمة ، والمستويات الذهنية المتباعدة ، وهنا تغدو كرامات القيم الانسانية عرضة لذوي الفسق السياسي تحت ستار هذه الحرية ، وهناك ايضاً المصلحة العامة تبتلي بمختلف انواع الضر والاذى وتختلط

حيالها الحابل بالنابل ويجري كل واحد من المواطنين بنسبة ما يوحي اليه غروره وطيشه ، وكذلك تحت ستار هذه الحرية التي لا ذنب لها ، بل ان ذوي الافهام والاخلاص والصراحة يرونها بريئة من كل مذمة ونقصان كبراءة الذئب من دم ابن يعقوب ، لكونها اعطيت لمن لا يعرف قدرها ويجهل حدودها او يتجاهل النوعين في آن واحد

وعلى كلا الحالين نرى الاجرام ملصوقاً في صاحبه ، غير ان القصاص في هذا المجال الاصلاحي لا يجوز ان يكون له اي اثر من آثاره العادلة لان المصيبة التي تنقلب فوق اوارها ، هي مصيبة امة بأسرها ، باستثناء قلة من ابنائها استطاعت اعاجيب الزمن وخوارقه ان تبرأهم من صادرات تلك المصيبة ذات القدم والاعتلال

ولكنك يا صاحب الاستنارة الذهنية الكبرى ، ألست واجداً ان المنطق المعقول بل المنطق الاممي الماجد تتطلب فروضه ان تتسلح بدروع الوقاية لتحفظ بها جوانبنا من نبال تلك المصيبة (اي الامراض العامة التي خلفها المستعمرون الاتراك والفرنسيون) شأن الطبيب المزود بوسائل فنه الدفاعية حين يندفع نحو مرضاه ، انني ارى طريقين لا ثالث لهما جديرين بالعبور بالنسبة للراغبين من المصلحين

(١) اذا ما ارادت الامة المريضة ان تثابر على سيرها في ادارات حكمها على الاخذ بمضامين النظام الديموقراطي العظيم ، فان الواجب الاصلاحي يفرض على القائمين عليها ان يستخدموا مروناتهم العقلية المكتسبة في كل نهج ديموقراطي

ولا ريب ان المرونة تقضي على الحاكم في امة من هذا النوع المعتل ، ان يقوم بتصرفاته الادارية وهو في ديوان حكمه على طراز قد يكون جديداً اذا ما اجرينا عملية التشبيه بينه وبين مثيله لدى الحكام الاداريين في الامم الاخرى المتميزة بالوحدة الخلقية النفسية ، غير ان هذا البون الظاهر يراه ذوو المرونة المنصفون هنا وفي خارج الديار بلسماً شافياً لناحية من نواحينا المصابة السقيمة ولعل هذا الطراز من السير الاداري المحلي لا يستطيع الغير ان يبتكر نظيره ؛

لانه آت عن وقوفه على انواع امراض امته ؛ ولانه مختزن بين مداركه عناصر صناعة الحكم ومزايا الاختبار ، وقد تعرض عليه احدى الطارئات حين ممارسته لمسؤوليته الادارية التي لا تستسيغ اي نص من النصوص ، او اي اتجاه من الاتجاهات الديموقراطية ، بالنظر لعدم وجود قابلية شعبية في بلاده ، اتراه يطرح هذه القضية الطارئة ، ام انه يعتمد على اختباراته ويعمل فكره في ضوئها كي يجد لها مخرجاً ، على غرار القاضي المرن الذي اذا ما مرت امام منصته القضائية عارضة لم يخطر على بال الشارع ان يذكرها في قرطاسه ، فانه يتسارع الى ترك القانون المدني لينصرف الى معالجتها في ظلال مصباح مرونته بغية ايجاد مخرج عقلي لها ، ولهذا نجد الشارعين في شتى البلاد المتمدنة قد الزموا كل مأذون بالحقوق بضرورة اجراء المران على ايدي ذوي الخبرة من رجال القانون طوال حين معين من الزمن ليتسنى له بعد انقضاء اجله ممارسة الصفة القضائية

وهكذا نجد الخبرة بفوائدها بنية واضحة فيما اذا اضطربت البحار واشتد صخبها وانعدم الفن البحري المسكوب في سجلاته ؛ وغدت السفينة بحارتها وبموجودات عنابرها بسبب هذه المزعجات عرضة للغرق ؛ الا تبرز تلك الفوائد الاختبارية في يقظة الربان ونباهته وبتكييفه اتجاهات السفينة المتضاربة مع الفن البحري المخطوط ، والملائمة لصخب البحر وهيجانه ، اولا ترى هذا الربان الذكي المرن يقودها مع ابناء صناعته الى شاطئ النجاة

وهكذا يظهر جلياً ان المران يجب ان تتجمع عناصره لدى كل ذي عمل في عموم ميادين الحياة لان مدرسة الزمن الكبرى احتضنت في معاهدها العملية شتى التجارب والوقائع على حين انها لن تكتفي بموجوداتها ما دامت الام تحمل وتلد حيث ان المستودع الانساني الذي تستورد منه تلك المدرسة الواقعية الجليلة ما تستوعب مكتبتها الكبرى (اي العقل المهذب الفاعل في هذا الوجود) من منتوجات الطاقة الفكرية الآتية عن طريق تفاعلها واحتكاكها بزميلتها الاخرى

واذا ما ظل هذا الحاكم الاداري المرن قادراً على اتباع سبل التقارب والتوفيق بين الاستعداد النفسي الكائن في هذه الامة ، وبين المخطوط في صلب

النظام الديموقراطي ؛ فان بعض النجاح اذا لم نقل كله سيسير اليه راضياً مختاراً

(٢) واما الطريقة الثانية فقد قررنا ان نطرق بابها ولكن بعد الاستفادة من عظيم نضوجك يا ايها الموجه الجليل

الست تقرر تفضيل ايجاد مهذب عادل مستبد ؛ ليتسلم زمام الزعامة الاولى في هذه الامة الموصوفة بالاعتلال . كي يضع توجيهاته الموثوقــــة ويوزعها بين المواطنين بواسطة الاجهزة النظامية شريطة انتقاء امناء على الاخيرة مخلصين مبيئين في كل وقت من اوقات التوجيه لان يرتدوا كل ثوب نسجت خيوطه بمنوال تهذيبه وعدله واستبداده ، ولا جدال في ان مبتكرات هذا الزعيم المنبثقة عن عميقه احساسه المتصف بالاتصال الكلي باحاسيس مواطنيه وبالسلالات القديمة التي صدرت آبائه واجداده ، اذا ما امتلكت قوة الفعل واستدامة السريان بين حنايا رعاياه ، فانها تتخذ موقف الدفاع العنيد الذي ستلفظ الامراض انفاسها تباعاً على عتبته

واراني امام سائل يبتغي الايضاح والتفصيل فيما يتعلق بالوصف الذي اطلقناه على الزعيم الموجه « عادل مستبد »

ولعل الاجابة على سؤالك يا ايها النابه المستوضح التي نود ان نسكبها فوق بياض هذا القرطاس ، تبعد عنك غبار الالتباس لتلقي اليك بكساء الفهم والقناعة

اتفق علماء الاجتماع والفلاسفة بعد الدرس الطويل ، واجراء التجاريب على كثير من الحيوانات ونخص بالذكر منها « الكلب » على ان النوع الانساني يحمل بين جنبيه صفتين متناقضتين ـ الوداعة والجبروت ـ الى جانب صفاته الاخرى

وقد كان زعيم الفلاسفة القدامى الحكيم سقراط في طليعة من قام بهذه الاختبارات وبصورة خاصة مع الكلب حيث اصطحب معه فريقا من تلاميذه بزيارة الى صديق له آثر لحراسة منزله كلبا من الكلاب « ونعم الحارس » وما كاد هذا الرهط من الفلاسفة العظام يقترب من الباب حتى علا نباحه واقدامه

تسابق الريح بقصد الانقضاض عليهم لان عقله الطبيعي المحدود اوحى اليه الخوف منهم على المنزل وصاحبه المؤتمن عليهما ، وفي هذه الآونة المرعبة خرج مالكه مسرعاً الى خارج بيته فوجد اصدقاءه القادمين الى زيارته في حالة جزع شديد الا ان هذا الوجل قد انقلب (بسرعة وميض البرق) الى ضحك ومرح حين انتظم في عدادهم ؛ اجل هدأ الكلب وعاد الى حالته الطبيعية وشرع يسير الى جانبهم بشعور استقبالي دل على وداعته ورغبته في حراستهم بعد ان ادرك انهم لمالكه،وهكذا اتفق هؤلاء العلماء والفلاسفة على ان الانسان ينطبق بغرائزه الطبيعية على غرائز الحيوان ولكنه فضل بعد ان ميز بالعقل المكتسب الذي استطاع ان يقبض على ناصيته بفضل تفاعله اليومي الدائمي مع قرينه الانسان الاخر ،وقد افضى به هذا العقل الى استخدام مكنونات نفسيته العميقة الرهيبة والى الانتفاع المتبادل منها في مجالات الحياة الانسانية التي عبرتها حضارات هذا العقل الانساني المكتسب ، وقد اصبح مفهوما بعد ان اتم هؤلاء المفكرون العظام تجاربهم هذه ومثيلاتها السالفات بان الانسان وديع وجبار بوقت واحد

وكذلك يا سيد العقول ارى الرغبة تحدوني لان استميحك فترة من الحين لابسط حيال غرائز الانسان المنوعة المتضاربة وعقله المكتسب ؛ وبصورة مختصرة مفيدة ، اريد ان حدثك عن استعداداته النفسية التي تدفعه الى تسجيل عمليات الشر والخير على ضوء نسبة وقدرة هذا العقل الذي يعيش ويعمل في ظلاله

لنفترض ان انسانا اعطيت له الحرية المطلقة حيث لا رقيب عليه ولا حسيب، الا تجده تاركا العنان لغرائزه الحيوانية الطائشة المستبدة لتفعل ما تشاء في موطن الفحشاء والمنكر والاعتداء على الضعيف بغية ابتزاز حقوقه الانسانية وامواله التي ادخرها في خزائنه بجده وكفاحه ، اولا تجد ان هذا الانسان المتميز باطلاق حريته، مسترسلا باباحة الممنوع عن غيره لنفسه ارضاء لشهواته المستبدة ، اولست مقتنعاً بجنوحه نحو البغي والظلم نزولاً عند اغاءة يبعثها اليه كبرياؤه الغريزي الجامح في حالة اقتناعه ، بعدم وجود قوة قانونية او شخصية لتنال منه وتؤدبه ان الواقع الغرائزي في الكائن الانساني هو كما ابنته بالضبط ، ولذلك

ارسل الله الكريم انبيائه واوحى اليهم بالتشاريع المعقولة المتناسبة مع هذا الواقع من وجهتيه ، السلبية والايجابية ، بالنسبة للمصلحة الانسانية التي اعطى الخالق لذويها الاباحات المعينة ، واقام الموانع لشهواتهم الطائشة المجرمة ، وفرض عليهم احكام القصاص العادل النسبي اذا ما استكانوا و نفذوا نداءاتها الهوجاء الباغية

ومن ضمن هذه التشاريع الالهية المقدسة انبلجت الانظمة الارضية ذات الحدود الاباحية والزجرية المانعة في معرض المنطق النسبي المعقول ، ورغبة في اتقاء مظالم الانسان الفاسد الطاغي ، اوجد الافاضل من البشر هذه القوانين المختلفة عن بعضها البعض ، غير ان نصوصها قد تختلف من الوجهة الشكلية من حيث تطبيقها وفرضها العقوبات على المرتكبين باختلاف الظاهرات الانسانية التي يتسم بها سكان اليابسة

واننا نرى بمنظار اليقين بعد الاختبارات العلمية التي عبرت هذه الدنيا ، واقع الانسان محشواً بالفساد والظلم والطغيان ؛ ولكني اجدك يا ايها العقل الاعظم قليل الرضى عن مكتشفات هذا المنظار ؛ وبالوقت نفسه اسمع صدى جلجلة هي دون ريب صاعدة من قرارتك الناضجة بالفضل والخير في عموم الظروف والطوارئ ، وقد تكون انت وحيداً في هذه الديار ، وقد يكون الله القادر قد خصك بهذه المزايا القليلة النادرة التي اذا ما كثرت وتصاعدت ارقامها ، فانها تغدو فاقدة قيمة الصنع الالهي العظيم

والجدير بالتنويه انك قد اغدقت على ذهنيتي فيضاً من ينابيع مواهبك الذي اشعر بتملكيتي لغزارته التي اعدها بمثابة قوة وضاءة كشافة لما تحمله طويتك من الاشارة الى الانبياء وخلفائهم العلماء والفلاسفة الصالحين الذين اقاموا التخوم النسبية حيال المصالح الانسانية في هذا الوجود ، اجل قضت حكمة الله ان يكون سكان هذا الكون جامعين ضمن جوانبهم للمتناقضات اللاتي تمهد تدبير شؤونها هؤلاء العظماء من بني الانسان ، هذا التدبير الحكيم العظيم سيظل ناموس الوراثة قائماً بمهمة نقله الى الابناء والاحفاد ما دام الذكور والاناث يتناسلون ويتفاعلون

اعتقد انك يا مرشدي تفقه حسن طويتي عند ما اتيت بهذا الحديث على ميل الانسان الطبيعي الى الاستبداد في كل ناحية من نواحي الحياة ، ولكي اضاعف فيك اليقين بصفاء نيتي اود من الصميم ان اتكلم عن مدى تأثير العقل في هذا الانسان

لا ريبة ان العقل اذا ما قدر له ان يحصل على المقادر التربوية والثقافية فانه يصبح ذا محكمة تبحث وتقرر منع غرائزه من الاسترسال في اعمال الغدر والنقصان ، بل تجدها في حالتها الحاضرة تبعث في نفس صاحبها الرغبة في تأدية الخدمات النافعة التي الف تبادلها المهذبون الواعون من ابناء النوع الانساني

ولكن سلطان هذه المحكمة العقليـــة يفقد تأثيره ومفعوله على الغرائز الانسانية الطبيعية اذا ما كانت مراحل تكوينها التربوية الثقافية مضطربة وملتوية لان الشواهد التى يتطلبها هذا السياق كثيرة جدا ؛ حيث ما فتئنا نرى المئات والالاف من شبابنا المثقفين يعودون الى الديار يحملون في ايديهم الشهادات العالية من الجامعات العظيمة ، سائرين في مختلف ميادين اعمالهم في طرق الاعوجاج واللا استقامة بالنسبة للمصلحة العامة . بل اننا نجد البعض منهم يعمد الى بعث المشاكل والفتن ارضاء لغريزة الشر التي عجزت المبادئ الثقافية عن صقلها والحد من اضرارها ؛ وليت هـــذه الاحوال المخجلة المقترنة بهؤلاء الشباب المثقف ، فريدة وحيدة ، بل هنالك في خارج بلادنا وفي البلاد الغربية والاسيوية ملايين من الشباب يتصفون بامثال هذه الاوضاع النفسية الناقصة بل باردأ منها ، وها اننا في طريقنا الى المجتمع الفرنسي المتميز بعراقته الادبية والفلسفية وفي غيرهما من النواحي العلمية والفنية ، حيث نصطدم باختلافات بينة في معظم الحقول العملية بما فيها المصلحة الفرنسية العامة ، وكذلك هي الحالة السيئة ذاتها مهيمنة على الاكثرية الكبيرة من ابناء القارة الغربية والاسيوية

والسبب في استدامة هيمنة هذه الاجواء النفسية الملوثة بالغيوم الدكناء يعود الى النقصان الذي ما انفك على اتصاله القوي في البرامج التربوية النافذة في مدارس وبيئات الغربيين والاسيويين وغيرهم من الاحياء فوق اديم الارض

لان من الثابت المؤكد ان المبادئ العلمية والثقافية والفنية وغيرها من القواعد الثابتة في مجلداتها تأتي بالدرجة الثانية بعد (التربية الاجتماعية السليمة) بل اننا نرى الصواب يدفعنا الى اقامة الشبه الاكيد بين الاخيرة وبين اساس البناء العمراني القائم على الاسمنت والفولاذ الذي يستطيع ان يتحمل كالجبل الراسخ ضغط العمارات المتعددة فوق اعمدته ، وبالوقت نفسه يستقبل عواصف الشتاء وانوائه الخطيرة المرعبة كما يستقبل ذو العقل السليم الناضج القضايا الكبيرة ومواليدها برحابة صدر قد يتضاءل ازائه وجود النظائر.

وكذلك السبب البين الفارق عن زميله السابق يعود الى ان صاحب هذا العقل قد اختزن في قرارة ذهنه مبادئ التربية القويمة والثقافة الثانوية الاكمالية وليس بالشيء الكبير العجيب اذا ما اكتفى بهما عن الثقافات الجامعية العالية

لقد اتسع معنا نطاق مقدمة الاجابة اليك يا ايها السائل النبيه المستوضح ، واوشكت تهمة الخروج عن الموضوع ان تلحق بنا ، غير اننا معذورون في تشعبنا بحكم مبدأ البحث والاضطرار الى الاطالة الذي يملكه كل باحث عن حقائق الاشياء .

قصدنا من وصفنا : الزعيم الاول (بالعادل المستبد) الى ازالة الامراض العامة التي خلفها المستعمرون في بلادنا التي عاقت وستثابر على اقامتها العوائق في طريق النظام الديموقراطي الذي يريد القائمون عليه تطبيق نصوصه عليها ولكنه بفضل اختيار سبيله الخالي من كل شوكة وعائقة بالنسبة لما هو عليه من العظمة والرقي البعيد المدى .

واما اذا ما ظهر – الزعيم المهذب – العادل المستبد ؛ وقدر على دفع توجيهاته الاصلاحية البناءة المنبثقة عن تلك الامراض التي يحلها عن طريق مرونته مواتية متناسبة مع هذا النظام ، فانه سيصيب موطن الكبد في كل ساحة استوطن ضمن اطرافها النجاح

ولعلك يا نشير الصواب ، تأذن لي لان اكون من رواد مناهلك لاقول بان الطريق المفضل من اجل اصلاح قومك وبلادك هو هذا الذي لا ثاني بعده ،وعلى سبيل

الافتراض ، نراءا في كنف هـــذا الحاكم العادل المستبد وهو يمارس مهمته الاصلاحية الكبرى ، متجبين نحو الصديق الجليل وزير المعارف لادرة الثالثة واذ بنا نفاجأ بانكبابه مع كبار موظفيه على تنفيذ ما اراده هذا الحاكم الموثوق الموجه في معاهد البلاد جميعها لينقل الاصلاح التربوي خطواته في النشء الى جانب مثيلاتها بين المواطنين . واما في دواوين ودوائر الدولة فاننا نفاجأ ايضا بسطوة القانون ورهبته ، حيث اغلق الباب بوجوه الاقطاعيين وغيرهم الذين اعتاد اصحاب المصالح ان يصطحبوا اشاراتهم عند ما يريدون السؤال عنها

والخليق بالذكر مع التقدير والاعجاب نجد تلك السطوة العادله الزاجرة المقتصة محيطة باطراف القضاء الذي امتلك ذووه حق النظر بمصالح الناس ؛ وحق تقرير ما يلفونه متفقاً مع وجوه العدالة ، وفي ذلك طمس لاسباب الغدر والطغيان ، واعطاء الحرية العملية اليهم ازاء الامن المعزز المهاب ؛ واذا ما القينا نظرة الى الاحوال العامة بعد ان اذن هذا الحاكم بتسييرها ، فاننا نشعر بان كل واحدة منها سالكة طريقها دون ان تمس اي شأن آخر ليس لها به اي اتصال ، وهكذا تنتقل البلاد من اوضاعها السيئة المعيبة في عهدته الى الباسها ثوب النظام الديموقراطي البهيج الاخاذ

٤ — الامن الداخلي والدفاع عن الحدود وهما من صادرات

الوحدة الشعورية

ان استتباب الامن الداخلي في عموم الامم وفي كل العصور المتمدنة كان ومابرح موضع العناية البليغة لدى المشتغلين فيصناعة الحكم من الساسة والزعماء والقادة ، وقد اعتبرته الاعراف الدولية العامة من الشروط الاساسية التي يفرض بالدولة المتمدنة ان تقترن بها ما دامت قائمة ساريه المفعول الدولي بين دول العالم ، ويبدو واضحاً للعيان ان هدف هذا الفرض الدولي ثابت جلي في توفير عناصر الحياة العادية المطمئنة للرعايا المستظلين في هدوء هذا الامن ، ولهذا اذا ما نشبت فتنة داخلية في اي بلد من بلدان العالم ، فلا بد لساسته المسؤولين من ان يتخذوا

التدابير الادارية ذات الفعل المأدب السريع ، وبالتالي نجد رجال الامن بمختلف انواعهم دائمي الاستعداد لتنفيذ ما يؤمرون به اذا ما وقعت اعتداءات فردية وغيرها على كل شيء اقتضت النظم الارضية حراسته وابعاد الضيم عنه

هذا هو الامن الداخلي في النواحي الداخلية الهادئة الناعمة بجانب جبروته ووداعية في كل مدينة يرتع سكانها في بحبوحة من عدالة حكامها

واما حديثنا عن الارتباط الطبيعي الدائم بين الامن الداخلي والدفاع الخارجي ، فله غير المجال الذي جلنا في اطرافه ، لان هذا الامن الذي تتطلبه ظروف الدفاع عن الحدود ينبغي ان يجيء وليداً من اتحاد مشاعر المواطنين ومن اتساق مفاهيمهم بالدرجة الاولى حيال كل امر من امورهم العارضة ، حيث ان جدار الدفاع لن يكون سليما ومنيعاً بوجه الغزوات الخارجية المسلحة اذا لم يكن المواطنون في الداخل منسجمين في احاسيسهم نحو مصالحهم المشتركة الواحدة ؛ ومصيرهم المشترك الواحد ،

والسبب في ضرورة وجود هذا الانسجام هو مصلحة البقاء الذي يقضي باغلاق المنافذ بوجوه جواسيس الغزاة وعمالهم الذين اذا تمكنوا من بث سمومهم واحاكة مؤامراتهم بين صفوف رعايا البلد المهاجم « بفتح الجيم » فان الاضطراب الفكري والضعف المعنوي سيسودانهم ، ناهيك عما سيؤديه هؤلاء الجواسيس والعمال الخطرون من الاعمال النافعة لجيوشهم الكاسحة التي تحمل بين يدي قيادتها الاجنبية رموز الابادة والفناء

اجل اذا ما تمت الاقامة لهم في صفوف الشعب المهاجم ، فانهم يبذلون قصارى جهدهم المادي والمعنوي ، ليأخذوا المعلومات عن الحكومات المحلية وبصورة خاصة عن جيشها المدافع بغية ارسالهـــا عن طرقهم الخاصة الى الجيش الغازي الاجنبي المهاجم « بكسر الجيم »

ولذلك تسارع الحكومات جميعها في حالة اشتعال نيران الحروب الفردية والمجموعية في اعلان اجهزة الدفاع فيها حالة الطواريء وسطوة الاحكام العسكرية على العموم وبدون استثناء

ولا ريب ان هذا الاعلان العسكري الضروري هو من مقتضيات المناسبات الحربية التي تدخل في ارقام حساباتها مسألة التجسس والعمال الاجانب الذين يتقنون صناعاتهم المتصلة في كل ناحية لها ارتباط في مصالح بلادهم ، وتدخل ايضاً في ارقامها مسائل اخرى تأتي بالدرجة الاولى من حيث الوجاهة والاهمية التي قد يكون بعضها محصوراً في متناول رجال الفنون الحربية التي لا نعلم عنها شيئاً ، واما البعض الآخر منها فهو ـ على ما نعتقد ـ في ملك كل عاقل ينظر للامور بمنظار الواقع

نعم ان كل بلد من بلدان العالم اذا ما انتقل من اوضاعه الطبيعية الهادئة ، الى الاوضاع الشاذة الحربية ؛ فان السلطة المدنية فيه تصبح ذا فعل محدود ، وتغدو الامور الرئيسية الجوهرية في ابنائه مناطة بصانعي الموت الذين يتميزون بعقلية البأس والقتال على ضوء الفنون الحربية المدروسة المقررة والمتبعة في الكليات العسكرية في عموم انحاء العالم ، ولكي تكون الاعمال الحربية في دوريها الدفاعي والهجومي متمشية مع المصلحة العامة المتجسدة في اذهان قادة هذه الجيوش ، كان لا بد ولا مناص من جعل القوانين العسكرية العادلة الرهيبة سائدة فوق المدنيين والعسكريين على السواء

واما الجيش المدافع ، او الجيش المهاجم ، فهو بمسيس الحاجة الى سلاح اجتماعي ثابت من قبل شعبه ليدعم اوار مدافعه وطيرانه ، وقد لا يقل اهمية وشأناً عن تلك القذائف التي تلفظ الحمم والهلاك

سمعنا في الماضي وما فتئ اليقين مقيماً في جوانبنا بان اكثر من جيش حربي واحد امتاز بحكمة قادته وبعد نظرهم ، وبسالة ضباطه المتوسطين منهم والصغار وبشجاعة جنوده ، كان الخسران حصيده ، والهلع نصيبه ، لان اوضاع شعبه الداخلية قد خالطها الاضطراب وانساب الضعف المعنوي الى حناياها حتى امست مطروحة مدحورة في احضان الزرجرة النفسية العامة

يبدو ان اوضاعاً مهلهلة من هذا النوع الفاسد في اية بقعة من بقاع اليابسة هي بطبيعة الحال نواة خالية من الابواب والقضبان الحديدية ولا عجب بعدئذ اذا

ما تمكن الاعداء من الاطلال منها على احوال الجيش المهاجم وعلى الوقوف على الثغرات الواضحة المؤذية في جسم الشعب القلق السابح في بحران الهلاك والفناء

وكذلك سمعنا وما برح اليقين ملء نفوسنا بان كل شعب متسم باتحاد مشاعر بنيه ، مهيأ بطبيعة الحال لان يساند جيش بلاده بعموم انوع الدعم والمساندة ولا جدال البته بان جيشاً في بلاد من هذا النوع المبارك سيدق باب النجاح والظفر

الفصل الثالث

نظرات

---

١ — المواصلات دعامة رئيسية للحضارة

قبل ان ادخل باب البحث في الفقرة الاولى من الفصل الثالث ارى لزاماً علي ان اصف الحضارة واتناول عناصرها الاساسية ضمن الطاقة الفكرية

ان للحضارة اوصافاً عديدة تنطبق عليها وتضم بين حروفها المعاني المدنية التامة لها

الحضارة ، واقع الامة ، مرآة ينعكس عليها انتاج مختلف الصناع المدنيين، وهنالك اسماء اخرى يختلف بعضها عن البعض الآخر من الناحية اللفظية ولكنها متفقة من الوجهة الواقعية المعنوية

من الثابت المؤكد ان مسالك الصنع الحضاري تتصف بطابع القرابة الواضحة باستثناء بعض الشكليات الناجمة عن اختلاف بعض عادات الامم عن البعض الاخر منها لان العقل الذي يقود هؤلاء الصناع في عموم الامـــم على الاطلاق هو عقل واحد لا ثاني بعده ، ولذلك ليس هنا وهنالك اي فاهم يعترض على صحة هذا المذهب مع الاحتفاظ بهذه الشكليات التي ولا ريب انها وليدة من التباين الطبائعي الاممي ، واما حديثنا عن وحدانية العقل الفاعل في هذا الكون

ينبغي ان لا نغادره دون ان نشبعه بالادلة ولو كانت الاخيرة في سبيل الاختصار

اختلف الفلاسفة العقليون الباحثون عن حقائق الاشياء في العصور القديمة وفي الاجيال الحديثة في تقاريرهم عن العقل ، حيث ان معظمهم القدامى قال : ان لكل انسان عقلا يختلف عن زميله في اي انسان آخر ، والبعض الآخر لم يستطع ان يكمل دورة ابحاثه العلمية حيال هذا الموضوع الجليل الرهيب مما اضطره لان يكون هدفا لموجات من الحيرة والاضطراب الفكريين

قرر الفلاسفة الالهيون في احقاب متباعدة من الزمن السالف ان الله جل شأنه ، هو العقل الاول الفاعل ؛ وقد انفصل عنه بخارق قدرته الالهية العقل الثاني المنفصل الذي يحتل جوانب ابناء النوع الانساني ويدير شؤونهم في اعمالهم كافة ، ويبدو جلياً ان الله القادر على كل شيء ، اوجد كل شيء تاماً وكاملا بما فيه الصنع الانساني المدهش العجيب المختزن ضمن اطوافه المواهب الالهية التي لو استطاع صاحبها ان يستخدمها في وجوه النفع لاسدى الخير كله لبني الانسان

ويظهر ان السبب الذي مكن موجات الحيرة والاضطراب من اذهان هذه الفئة الكريمة من الفلاسفة آت عن اصطدامهم بالتصرفات الانسانية الجزئية ذات الفروقات الدالة على اختلاف المقادير الذهنية في ذويها ، ولكن الواقع الذي لا ريبة فيه ؛ هو انه وليد النقائص التي التصقت بمراحل التربوية ؛ ولا بد في هذه الحالة الشاذة من ان تبدو للعيان اعمال الانسان حاملة ضمن برديها صفة التباعد والاختلاف عن اعمال الانسان الاخر ، وكذلك لا بد فيها ايضاً من تفوق العاطفة فيه على مقدار ذهنه وهي متدرجة نحو السيطرة التامة عليه في معظم الاوقات ؛ واذا ما رجعنا الى نظرة الفلاسفة الالهيين الصائبة القائلة : ان العقل الثاني المنفصل عن الاول الفاعل هو الذي يحتل نفوس ابناء النوع الانساني لعدنا مصطحبين الصواب كله الى ادمغة هؤلاء الفلاسفة القدامى الحائرين ، ولا ننكر ان الفضل في امتلاكنا ناصية هذا الصواب يعود الى تقرير وحدانية العقل الذي وضعه زعيم الفلسفة الحديثة صاحب القاعدة « ديكارت » الذي ولا ريب انه استنار بضياء عقول صانعي الفلسفة الالهية القديمة في هذا الطريق الذي

تحيط به الغيوم من كل جانب ، واري من الصواب والمرغوب فيه ان نستأنف دفع خطانا في هذا المضمار علنا نخرج منه لنحط رحالنا حول التصرفات الرئيسية ، لا الجزئية طبعاً ، التي اجراها وما زال يجريها اصحاب العقل الانساني الواحد في هذا العالم

ها هي الاعمال الحربية التي حدثت واطاحت بتيجان وانظمة امية واقامت على انقاضها اخيرها وافضلها بنسبة اجتهاد ذويها الابطال، ومن الثابت انها غدت قدوة تحتذى من قبل ابناء واحفاد هذا العقل مع الالغاء النسبي لبعضها او الاضافة المصلحية الواحدة اليها ، وكذلك الثقافات والفنون والعلوم التي اوجدها في الزمن البعيد والحاضر كانت ومانفكت ينابيع خير قصدوها وما زالوا يحجون اليها . وكذلك الطرق المعيشية اليومية الدائمية وما تقتضيه من الحاجيات الضرورية والكمالية التي ابتكرها هذا العقل وسار فيها ابناؤه واحفاده بقدم واحد الى جانب الرضى والامتنان باستثناء الفروقات الجزئية التي اخرجها الوجود اضطراب بعض الغرائز فيهم بسبب النقصان الذي رافق ادوارهم التربوية ؛ وبعد ان اوردت هذه الامثلة الواقعية التي هي بمثابة جدول بسيط اذا ما قيس بابحر الامثلة التي لا عدد لها ، نعم اراني في سبيل الاستقامة التفكيرية سائراً نحو الحقيقة القائلة : ان هذه التصرفات الواقعية المنظورة في كل العصور الماضية واللاحقة تبناها العقل الواحد وسيحرص عليها ابناؤه واحفاده ما دامت الحياة التي لن تعرف نهايتها، مع اضفائهم اليها حسنات التطور الانساني، وبالبداهة يتضح لاصحاب المفاهيم المستقيمة ان الدلالة صاعدة على ان ذينك التبني والحرص ، هما وليدان العقل الواحد الذي يحتل نفوس البشر ويقودهم في اعمالهم الرئيسية ؛ ولو ان في العالم اكثر من عقل واحد ، لاختلفت الاعمال الكبير والصغيرة عن بعضها البعض الاخر بشكل اساسي جلي

وقبل ان نتكلم عن الاستطاعة المتقدم ذكرها فضل الاتيان على العقل الثاني المنفصل وصاحبه الانسان ؛ لانني اود ان الفت نظر هذا الانسان الرهيب بعميق انسانيته الى عظمة عقله هذا ، والى كيفية انقاذه بسببه من التدهور عند ما تتراكم امامه طواريء الحياة

لنفترض ان هذا الانسان في ديوان حكمه ، او في دائرة عمله ؛ ولنفترض ايضا ان مسؤوليته قد ثقلت في قسطاس عقله ، الا نراه في المرحلة الاولى من مضاعفات اعماله يتعثر باذيال الحيرة والارتباك ، اولا نراه حائراً في تفكيره لا يدري اي طريق يسلك ، ثم او لا نراه ينفرد مع ذاتيته واضعاً رأسه بين كفيه تاركا العنان لذهنه ليسجل الخطوات بين مختلف التيارات الفكرية المتعبة ، ثم اولا يحس بخلال هذه الثواني القليلة المدهشة العجيبة بان شيئا شعوريا في قرارة نفسيته تحرك مشيراً اليه (بشكله الخاطفي) الى المخرج الذي يبعث فيه الراحة والاطمئنان ، لا ريب ان الاشارة النفسية هذه هي الهام الهي جاء وليداً من صلب العقل الثاني المنفصل عن العقل الاول الفاعل

واما الاستطاعة المواهبية التي اودعها الله في جنبات الانسان ، فهي جديرة بالعناية والبحث

ان الغرسة المنوية التناسلية التي يبذرها الذكر في موطن الانتاج والحمل من رحم الانثى هي بمثابة البذرة التي يغرسها المزارع في حقله ، واذا ما كان هذا المزارع حاضنا ضمن مداركه الفنون الزراعية المتناسبة مع طبيعة ارضه ، والمتلائمة مع اختلافات الفصول السنوية الاربعة ، فانه سيجني الثمرات الشهية

واما اذا كان هذا المزارع الغارس جاهلا وتاركا مزرعته عرضة لعوامل الطبيعة المتناقضة ، فانه في كثير من الاحايين يصاب بالفشل والخسران ، وفي قليلها سيصيب قسطاً من النجاح

وعلى هذا الغرار نجد الغرسة المنوية الانسانية اذا ما اجرت عملية اللقاح مع شقيقتها النسوية فان الحمل واقع لا محاله ، واذا ما اتبع الزوجان طرق الوعي والفهم التناسليين في كل عمل يأتيانه وبصورة خاصة المرأة منهما الى حين الولادة ، فان الاستطاعة المواهبية المتقدم ذكرها هي ملك هذا الطفل في مهده باستثناء الفوارق الموصوفة بها والاتية عن التباين الطبيعي الكائن في كلتا النطفتين ؛ ثم يعقب هذه الولادة ، دور الحضانة الذي يشبه لحد قصي المرحلة الاولى للنمو الزراعي البدائي ، ولهذا ان هذا الدور النامي الخطير يقضي على

الوالدة الحاضنة ان تكون متفهمة لفترات النمو الروحي والجسدي ولمشتقاتها ولوازمها من مأكل ومشرب اعتادت بكل يوم من ايامها ان تتناول منهما ما يبعد عنها مرض الجوع وشدة الظمأ ؛ وهناك وسائل النظافة واوقات ارضاع الطفل المنظمة واوقات الرياضة البدنية المتناسبة التي يدخل اعتبارها في نطاق الاعتبارات الاخرى الاساسية والتي تفيد منها روحيته وعضلاته كما تنتفع منها ايضا روحية امه المرضعة وعضلاتها ، ثم يجيء عهد الدراسة الابتدائية التي ينبغي ان ينتقي القائمون بتلقين مبادئها التربوية والعلمية من الاخصائيين كما سبق وتكلمنا عن هذه الناحية الحساسة الجليلة في الفصل الثاني من هذا الكتاب ، ومن المستحسن ان لا اكرر هذا الحديث ولهذا اقول : ان الانسان منذ ولادته اذا ما تسنى له ان ينتفع من دوري الحضانة والتربية بكافة عناصرهما الروحية والجسدية ، فلا ريب انه سيصبح في مستقبل الايام ذا قدرة عجيبة في مجال كل انتاج انساني

واذا ما اهمل بسبب جهل والديه او بسبب آخر وهو صائر الى مرحلة اشد، فان القحط سيكون ملازما لعقله في كثير من هنيات تفكيره ، وان استطاع ان ينتج ، فان العلة بعموم انواعها ستحيط باطراف انتاجه ، كالشجرة التي اصيبت بالاهمال من حين نشوئها الذي سيؤدي بدوره الى جعل قامتها مقوسة محدودبة مشوهة ، وطبيعي اذا ما اعطت الثمار القليلة الضعيفة

نعود الآن الى صلب موضوعنا في بحث الحضارة . لا ريب ان ابرز ظاهرة في كل حضارة انسانية ؛ هي ظاهرة العمران في كل بلد من بلدان العالم قاطبة

نحن الآن معشر المستوضحين الناقدين في طريقنا الى زيارة احدى المدن متحملين مشقة السفر ووعثائه بغية الافادة مما وصل اليه ابناؤها المهذبون في صناعاتهم المدنية ؛ واذ بواحد فطن من الرفاق يقترح على ابناء معشره الاكتفاء بصعودهم الى فوق الرابية القريبة المطلة عليها حيث يصبح بمقدورنا ان نأخذ صورة واقعية عن مدى اتساق الاخلاق النفسية في سكانها ، وبالفعل حين اتجهنا بنواظرنا نحو ابنيتها المزدانة بالاشكال الهندسية المتقاربة ، اقتنعنا بعظمة حضارتها وتحركت في نفوسنا عناصر البهجة والسرور ، وفي هذا الجو الروحي

من المتعة اردف الرفيق المقترح رأيه المستحسن في ضرورة اختلاطنا بابنائها لنختزن في اذهاننا المزيد من الاطلاع

ولما بدأت اقدامنا تطأ طلائع شوارعها العريضة المعبدة الخالية من الاوساخ ذوات الجوانب المزينة بالاشجار الباسقة التي تجري الرياح المنعشة بين اغصانها بدأنا بعد ان قررنا بزيارة محافظها ودوائر نفوذه باسم الصحافة التي الفذووها الايجاب عند ما يتوجهون الى ذوى الشأن بطلبات الايضاح والتنقيب

وما كدنا نستوي فوق مقاعدنا في مكتبه حتى ارتسمت على وجهه امارات النطق واخذ يحدثنا بعد ان القى افصحنا لسانا رنين صوته في اذنيه الناطق بالاعجاب بما وصل اليه مواطنوه من الدرجة الفواقة في صنع حضارتهم التي تدل على تقارب اذواق ذويها

كان اجدادنا المتقدمون منذ مئة عام يعيشون حياة قوية الشبه بالحياة البدائية ، غير ان احدهم المتميز بصفاء الذهن وقوة الارادة اخذ عن طريق بيانه واصطباره يقنعهم بحياة جديدة تتصف بالروعة والجمال على ان يأخذ المسؤولون فيهم بمبادئه التربوية والثقافية السليمة ، واتخذ مع المائدين منهم موقف العناد الذي يفرض بكل مصلح ان يلتزم جانبه . الي ان كثر انصاره ومؤيدوه وتم له ما اراد وانقادت اليه طائعة راضية مقاليد امور هذا البلد

ومنذ ذلك الفجر راح المواليد من ابنائنا يرضعون الي جانب حليب امهاتهم مبادئ التربية القويمة في ادوار حضانتهم ، ثم شرع الاختصاصيون من الاساتذة الابتدائيين يلقنونهم فوق مقاعد الدراسة التوجيهات الذهنية المساعدة لمراحل نمو الروح والجسد السائرة في انتظامها واطرادها الي ان اكتملت في شبابنا الوحدة الاخلاقية العامة ؛ وبدأ كل صانع منهم يقوم بواجباته في نطاق عمله وجاء بعدئذ انتاج هؤلاء الصناع مرتديا لباس القرابة فيما بين بعضه البعض

واعتقد انكم قد لمستم في سكان هذا البلد الوحدة المشاعرية الواضحة في مظاهر دوائر اعمالهم ، واخص بالذكر منهم الموظفين الذين ادركوا تمام الادراك بان الساعات اليومية التي يقضونها في مكاتب الدولة ليست ملكا لهم ، بل هي ملك

للامة التي ربتهم وصقلت مواهبهم بعظيم سهرها عليهم والعناية بغرائزهم على ضوء مفاهيمها الراقية وعلمتهم كيفية الاستقامة بالتفكير عند كل عمل يريدون ان يؤدوه لانفسهم او لامتهم

نعم ادت هذه الامة تلك المهمة التربوية الموجهة نحو ابنائها الى ان غدت الوحدة الاخلاقية النفسية العامة جزءاً لا يتجزأ من كياناتهم، ولذلك يتحسسون بقرارات نفوسهم بجليل المسؤولية نحو كل ما له اتصال اومساس بامتهم وحكومتهم وطبيعي اذا ما حرصوا على الدوام الحكومي منذ البدء باعمالهم النظامية الى آخر دقيقة من دقائقه ، باستثناء الظروف التي تستوجب من رئيس المصلحة اجابة طلب المأذونية التي تدفع بها الى هذا الموظف صغيراً كان ام كبيراً

وطبيعي ايضا اذا ما سارت مصالح المواطنين في جو السرعة المشبع بالشعور بالمسؤولية ، وهنا استأذنا هذا الحاكم اليقظ وفي رؤوسنا فكرة التجوال بين سكان هذه المدينة لنقف على كل ما يمكننا الاستفادة منه ، واثرنا احتجاز اسرة النوم في احد الفنادق حيث وجدناه آية بالنظافة وبتنسيق اجزاء مفروشاته وطلبنا اسعار الراحة فوجدناها متناسبة وما عرفت المساومة اليها سبيلا ، وليست هذه الاسعار محصورة في هذا الفندق وحسب ، بل هي السائدة في كل مكان مهيء للبيع والشراء

وليس بغائب عن ذي فطنة ان هذه الاستقامة التعاملية بين هؤلاء الناس هي وليدة الاستقامة في شعورهم وتفكيرهم في كل نطاق انساني

واما مظاهرهم في اللباس والاكل والشرب وسواهم ؛ فهي نوع واحد من الوجهة الذوقية ، وان دل على شيء ، فانما يدل بشكل قوي بليغ على اتحـــاد احاسيسهم التي كونت فيما بينهم المؤسسات التعاونية العملية القائمة على الانصاف والعدالة حيث انعدم في وجودها التذمر والشكوى من تفشي سموم البطـالة ؛ وكذلك هناك المؤسسات التعاونية الانسانية التي تدفع عن المريض البائس توجعاته وعن الارملة وابنها اليتيم شظف العيش ومرارته ، هـذه هي المدينة الفاضلة بابنائها اردتها في هذا الطواف من البحث صورة اكيدة واضحة عن الحضارة

لا جدال في ان كل حضارة من حضارات الامم على الاطلاق هي من صنع ذويها بما فيهم اصحاب المهن العادية كمتعهد النظافة وغيره ، غير ان درجاتهم الاجتماعية تتباعد عن بعضها البعض بنسبة افضلية انتاج واحدهم على الآخر، ولعل الصواب يلازمني اذا ما قررت ؛ بان المربي الفاضل هو ذو مرتبة اجتماعية تسمو بقدرها على عموم مراتب الصناع المدنيين الاخرين ، حيث ان كل مدنية لن يكتب لها السلامة والبقاء بين المدنيات المتماسكة ، اذا لم تكن التربية القويمة دعامة من اركانها الكبرى

نعود الان الى بحث المواصلات وعظيم تأثيرها في الميادين العملية في كافة اقطار العالم ، مع الاحتفاظ بنظرتنا الى ما تنتجه من الصادرات المدنية المفيدة الى البلدان التي تقف فيها وتعبرها مختلف انواع الناقلات والشاحنات البرية والجوية والبحرية

يبدو لذوي الافهام ان الانعزال ضار ويتنافى مع الحركة الانسانية المنبثقة عن طبيعة النوع الانساني ، التي تطورت في مجرى الحياة وتدرجت من نطاق الفرد الواحد الى صعيد الجماعة حاملة ضمن جنبيها مولدات صاحبها ذي الفعل الدائم ، وكذلك يبدو ان تلك المولدات العقلية الانسانية قد انتقلت من لدن صاحبها المنتج عن طريق الكراريس والمجلدات الى الانسان القريب والبعيد حيث كانت وما برحت تحظى عنده بالقبول مع الشغف البليغ نظراً للضياء المنير الذى تسكبه في مدارك غارفي مناهلها ومحتزني علومها وفنونها ؛ وقد ادرك هذا النوع ان حركته العقلية تتطلب الادوات الناقلة لمختلف صادراتها وواردانها المعنوية والمادية وكانت بعدئذ الاجهزة الاذاعيــــة والطيارات والسيارات والقطارات الحديدية والبواخر من حاصلات تلك الحركة المباركة ، ومنذ ذلك التاريخ الاختراعي المدهش العجيب المفيد شرعت الافكار النيرة تنتقل من مكان الى آخر بما في ذلك عبر البحار واخذت الشعوب الراسبة في دياجير الجهالة والبغي والمنكر والافك والبهتان بمبادىء العلوم والفنون الى ان غدا معظم سكان اليابسة مغموراً بعظيم فيضها وجزيل خيراتها لان العقل يقضي على صاحبه ولو كان

محدوداً ، في الاقبال على كل جديد موصوف بالجودة والجمال ، وهكذا ارتقى الانسان من الحياة البدائية الشبيهة بالوحشية الى هذه المرتبة من التقدم والفلاح بفضل انسياب المدوات التربوية والثقافية بين اطراف هذا الكون جيئة وايابا كانسياب ذات الخصومة لفضائلها ومنافعها من العدوات الضارة المؤذية

اجل هذا هو مفعول الحركة العقلية في الناحية الفكرية ؛ وقد سجلت اهدافها المادية العملية في الميادين الميكانيكية الاخرى بالنسبة لاحتياجها اليها كي تنقل في عنابرها الفائض عن منتوجها كحاصلات زراعية منوعة ومصنوعات يدوية الي الاقطار النائية ولتعود حاملة في اجواف مستودعاتها الى ذويها ما تطلبه حياتهم من وسائل العيش والترف ومختلف الاشياء التي تستلزم توفير امكانيات البقاء عندهم بالنسبة لمقتضيات الصراع الدائمي الكائن بين ابناء النوع الانساني

ان للمواصلات العامة فضلا عميما في كل بلد دون ما استثناء ولا سيما سكان القرى الذين يتمكنون بسببها من الاتصال في الصباح والعشية بابناء المدينة الذين يمتازون عليهم في معظم الاحيان باكتساباتهم التربوية والعلمية والفنية ؛ بل بعبارة اوضح يفوقونهم بتصرفاتهم المدنية من افرادية ومجموعية ، ولذلك ان الاحتكاك المستمر المباشر بين هؤلاء واولئك قد اتى وسياتي بفوائد مدنية في الدرجة الاولي للقرويين المتأخرين الذين اذا ما وضعت حياتهم في مكان الشبه مع الارتقاء الحضاري الرائع في هذا الوجود ؛ فان الابوان الشاسعة تصبح واضحة ، غير ان تلك الحياة القروية المتأخرة بالامس ؛ غدت اليوم بفضل المواصلات العامة الحديثة في البلاد الغربية والامريكية وفي غيرها من بلاد القارات الاخري تدفع اقدامها الرصينة وهي متجلة بردائها الجديد القشيب الي جانب هذا الارتقاء مؤمنة بانها قد اخذت حقها الانساني وشعرت بما لهذه الناقلات الذاهبات والعائدات من عظيم الجميل في ما نالته من المراتب المدنية ذات النعيم المطلق الشامل بظلاله الوارفة كل من شمر عن ساعده بعد ان اعتمد على ذهنه الناشط وعلى الخلاص وجد ساسة قومه المسؤولين ، الا ان سكان القرى في الجمهورية السورية غارقون في خضم من الجهالة والاقطاع والظلم والوسخ والمرض والفقر النفسي

هذه الامراض وسواها متفشية بين ابناء القرية السورية بشكل لا يقبل اي نزاع او نقاش ، ومن الانصاف ان لا احد من ذوي الاقوال المستجدة اذا ما دفعت الى منضدي الاحرف الهجائية تنويهاً يشير ضمن اطار من الاسف الشديد الى ان تلك الاحوال ؛ بل الاهوال مضت عليها حقبات كثيرة من الزمن دون ان تخطر ببال احد من الساسة المسؤولين الذين قدر لهم ان يزاولوا شؤون هذه البلاد بغية اجراء اي نوع من انواع الاصلاح فيها ، غير ان الاسف الاشد ، يرغب من صميمه ان يصب كيول عتابه ونقمته على اعضاء الحكومات الوطنية التي تعاقبت على دواوين الادارة العامة منذ ان جلا الاجنبي عن ربوعها ، لأنهم لم يفكروا في مظهر القرية السورية وبشاعتها من الوجهة العمرانية الحديثة ، ولم يفكروا برداءة احوال سكانها السوريين الذين يعيشون (وكأنهم) في بلاد انعدم من نفوس حكامها كل شعور بالمسؤولية القومية

ان تلك البشاعة المخجلة المميتة تتمثل لكل ذي عينين من المسافرين من دمشق الى بيروت حيث اذا ما اجتاز احدهم الحدود الوهمية القائمة بين الدولتين السورية ـ اللبنانية فان هذا المسافر يشعر اذا كان من رعايا الدولة السورية بحياء بعيد المدى في خلال الثواني القليلة التي يسلخها حين انتقاله من بهاء القرية اللبنانية ذات العمران الحديث الرائع الى الثوب القديم المهترئ المرقع الذي يكسو القرية السورية

وطبيعي اذا ما كون الغرباء عن جنسية الحكومتين الشقيقتين الفروقات البعيدة بين جمال هاته وبشاعة تلك ، وكذلك بالبداهة مكون لديه صورة محترمة عن اصحاب الاولى ، وصورة قبيحة عن اصحاب الثانية ، وقد يجيء من يقول لنا : ان الحكومة اللبنانية بحكم اضطرارها الى موارد الاصطياف بذلت منذ عشرات السنين جهودها المالية وامكانياتها الهندسية المدنية من اجل الارتقاء بالقرية بعد ان عبدت الطريق المؤدية اليها ووفرت للمسافرين المواصلات الجديدة الحديثة ، على حين ان الحكومة السورية غنية عن هذه الموارد لان بلادها تملك قدرة ممتازة في تصدير الحاصلات الزراعية الى الخارج وكذلك تملك قدرة

تجارية وصناعية اذا ما وضعنا في احدى كفتي الميزان الى جانب مواردها الزراعية فان التعادل سيكون نصيبها في آن واحد ، ولهذا انصرفت عناية المسؤولين عن قريتهم السورية القديمة البالية واتجهت الى النواحي الاخرى كالثقافة والدفاع وغيرهما من اجهزة الدولة

اجل نحن معك في حديثك يا ايها المخلص الفاضل عما للقرية السورية من الاهمية ، خذ لذلك مثلا عن ابنها الفلاح الذي عشعش ضمن اطرافه عفن القدم المتصف بكل نقص بالنسبة لكافة النواحي الانسانية ، ومن الحق علينا ان نعترف بان الابقاء على ما يه يقيم العقبات في الطريق الذي يسير ضمن جنبيه مختلف صناع الحضارة السورية العربية، ووصمة مكنت وما برحت تمكن ذوي الاطماع الخارجيين وغيرهم من اعداء الامة من ان يأخذوا على الدوام اقبح الصور التي وضعوها في اسواقهم مع تسجيلهم في ذيلها انكر الكلام واقبحه عن واقع المجتمع السوري العام وقد القاها بام العين الكثيرون من طلابنا في اوربا وغيرها من البلاد الاخرى وعلى هذا الاثر اتضح في وجوههم عمرر الالم القصى والثأر من المعتدين على واقع امتهم غير انهم غرباء لا يملكون اية وسيلة من وسائل الثأر والانتقام

ومن الحق لكل مواطن سوري ان يسرح في عالم الخيال ليرسم في فكره وطأة تلك السمعة السيئة المؤثرة التي تمثل امام هذا الناظر لهـــذه الصورة الفوتوغرافية عن القرية السورية التي التقطها الاعداء المكرهون ووصفوهـا بكتاباتهم بانها من المدن العظيمة في الجمهورية السورية ، واذا ما فطن هذا السوري السابح في خياله الى عدم وجود مكاتب للدعاية السورية في البلاد الغربية ؛ فانه سيدرك ما استوعبته اذهان ابنائها عما عليه هذه الامة من التأخر والانحطاط

هذا ما اصاب القرية السورية بسبب استدامة قدمها في الميادين المعنوية الاممية الدولية ؛ واراني الآن في اتجاه ثاني يملك احقية في البحث عنه لعلها تقبض على ازمة الوجاهة الرئيسية فيما بين احقيات القضايا التي اعطيناها ماتستحق من العناية الباحثة

نعم ان ساكن القرية السورية وفلاحها هو بمسيس الحاجة الى ان يتمتع

(كانسان سوري) بقساط وفيرة من اهتمام حكام بلاده لانه عضو اساسي في المجتمع ؛ ولا شك في ان المنصفين من اعضائه يجنحون الى تأييده في حاجته الضرورية هذه ؛ ويرون من الانصاف ان يضاف الى اصلاحه بكل ما ترتئيه مهمة المصلحين المخلصين ليستطيع ان يساير الاخيرين باعمالهم التعميرية الهادفة الى لستكمال صنع المدنية السورية

وقد لا يغيب عن فطنة المرأة في خدها ان استدامة القرية وابنها بحالتيهما الحاضرتين ستظل مستأنفة زرع الاشواك العائقة المؤذية في مسالك الصنع المدني التي يعبرها هؤلاء المصلحون ؛ وكأني بسذاجة هذه المرأة حين تردف قائلة: ان اية دولة قومية في العالم قاطبة لم تخلق لغاية الكسب المادي المنوع بمختلف وجوه وارداته بما فيها جيوب المواطنين وحسب ، بل ابتكرت فكرة ايجاد هذه الدولة الحساسة الشاعرة لتنظيم امور اعضائها (اي المواطنين جميعهم الذين يدخلون نطاقها وبعكس الحكومة) وتحسين مستوياتهم المعنوية والمادية ولصيانتها، وامأخزائنها فهي معتمدة في تأمين نفقاتها على عموم رعاياها

نعم هي هذه فكرة الدولة القومية في عموم الامم الراقية ، ولاسيما في هذا العصر الذي وصل فيه الفكر الانساني الى اسمى مراتب الانتاج والفلاح ، هذه هي فطنة وسذاجة المرأة في خدرها يا ايها المتعاقبون على مناصب الحكم في الجمهورية السورية

ايجوز يا ايها السادة المسؤولون ان تظلوا غافلين عن القرية السورية وابنها حارس حقلها ؛ بالوقت الذي لا يقدر احد ان ينكر عليكم كثرة مشاغلكم للنهوض بامتكم من موطن كبوتها وسقوطها ، ولكن تلك (الكثرة الشاغلية الكائنة في اذهان عموم ساسة الامم ما كانت ولن تكون سبباً في غفلة معظمهم واذا لم نقل كلهم عن امور جوهرية لها عظيم الاتصال وعريقه في اصلاب القضايا الكبرى التي يندفعون نحو معالجتها بالحكمة وسكين الاصطبار ، وطبيعي اذا ما كنتم تعلمون اكثر من سواكم بان بقاء هذه القرية ذات العمران البدائي البالي وحارس حقلها ذي الزدائة العامة المعيبة ، يتضارب مع ابسط مبادىء الذوق المدني

الذي ادخره في جوانبهم ابناء الامم المتوسطة في ثقافتها ومدنيتها ، وبهذه المناسبة المضنية البحاثة يستصرخكم وجدان هذه الامة التي اوكلت اليكم مهمة اصلاحها لان تعملوا على نشر مبادئ التربية والمعرفة بين ابناء هذه القرية وان تفتحوا وتعبدوا الطرق الصغيرة التي تربطها مع اختها الاخرى من القرى السورية القريبة والبعيدة ، وان تواصلوا عمليات التعبيد بينها جميعها وبين المدن ليصبح بمقدور ابنائها ان يصطحبوا حاصلاتهم وان يهبطوها حين يشاؤون ، وليعودوا الى بيوتهم ساعة يريدون ؛ واذا ما قررتم القيام بهذه الواجبات الاصلاحية ؛ فان ضرورة تأمين وسائل النقل بشتى انواعها هي العمل الثاني الذي لا مناص منه ؛ ولا اخالكم الا مدركين لما يجنيه الفلاح السوري من المنافع الروحية والمادية التي اذا ما تمت له تلك السهولة في هبوطه الى المدينة وفي عودته الى قريته ، كما سبق لي واوضحته منذ البداءة في هذه الفقرة من هذا الفصل ، ان امتكم يا ايها السادة الوزراء لم تخلق لتعيش على هامش الحياة ؛ ولا يشك احد البته في انكم وقفتم بملء اذهانكم على الثورات الفكرية الرائعة المفيدة التي سجلتها في مجرى التاريخ القديم . ولذلك وكما سبق وقلت فيما تقدم من صفحات هذا الكتاب ، ان ركب الحضارة العالمية يشعر بلواعج الحنين الى رؤية ام الحضارات (سوريا) تستأنف سيرها مستعجلة خطاها لتلحق به ، بل لتستأنف القاء اضواء اذهانها عليه

٢ — الزراعة والاصطياف

من المعلوم لدى ابناء هذا القرن (العشرين) ان الموارد الزراعية لها عظيم شأنها في تغطية كثير من ارقام الموازنة العامة بالنسبة لدى كل دولة من الدول بأسرها ، وهذا ما جعلها توجه القسط الاكبر من عنايتها الفنية ليتمكن المالكون من اصحاب الحقول الزراعية من الانتفاع بها واستخدامها في مقاومة (الآفات) التي اضرت بهم في العصور الماضية بشكل اوشك الخراب ان يقيم حواليهم بفجيعته وهوله ، وبالفعل كان هؤلاء الزارعون في المواسم السالفة يتوجسون الخيفة كلها من الحشرات الفتاكة التي تهددها باضعاف حبوبها وخنة

جودتها اذا لم تقل بالفناء ، غير ان هذا الفناء سبق ان اصاب طائفة من هؤلاء واعتقد انه ما فتىء يصيبهم في كثير من سنواتهم الموسمية بسبب جهلهم الذي حال دون اخذهم بمبادىء الفنون الزراعية الحديثة النافعة ؛ الا ان اصحاب العقول الناضجة في الامم الراقية استطاعوا بفضل سهر حكوماتهم الواعية الحساسة ان يجنبوا مصالحهم الزراعية تلك المخافة ، او هذا الفناء الذي ما زال بنكباته ينصب على المهملين من ذوي الجهالة ولا سيما في سوريا . وقد وصلت ارقام ارباح هؤلاء الفنانين الزراعيين حدوداً بعيدة المدى ساعدتهم على رفع مستوياتهم العامة التي استوجب تصاعدها المستمر تقديرهم واجلالهم من قبل الامم الاخرى المجاورة لهم ؛ حتى اننا نجد كما يجد غيرنا من ابناء الامم الاخرى كافة صادراتهم الزراعية المنوعة تغزو الاسواق العالمية وهي من الجودة بمكان ، كما ان الجميع من مختلف الاقطار وجدوا المرابح المادية تنهال على جيوبهم كالمطر المدرار ، ولا ريب ان السبب في تضخم تلك الصادرات الاجنبية هو الخبرة الكيماويه التي تفوقت على مفعول وخطر الحشرات الزراعية العدوة وقد تم ذلك الى جانب المفعول الايجابي الذي ما انفكت الادوات الميكانيكية توالي دفعه الى هاتيك الحقول والى اصحابها الذين اغتنوا واغتنت بفضل يسرتهم حكوماتهم التي اوجدت الى جانب دواوين وزاراتها ديواناً خاصاً بوزارة الزراعة كي تنصرف بكليتها الى ارشاد مزارعيها بالمفاهيم الحديثة التي ابعدت عن ثرواتهم مخاطر الفناء التي اعتادوا فيما مضى من السنين الماضية ان يكتووا حيناً في اتون قلقها ، وفي الحين الاخر في جحيم فنائها

ليست تلك المفاهيم الفنية بعيدة المنال اذا ما حاول الراغبون في اخذها وتطبيقها ؛ بل ليس في اقتنائها والافادة منها اي عيب من العيوب لكونها تدخل في نطاق الثقافات والفنون الانسانية العامة التي لا تعرف حداً من الحدود ؛ بل على العكس تجنح شغوفة لتعرف اين هو المكان الذي يستوطنه الانسان لتلقى بثوبها الجميل الفتان حيال منكبيه ؛ ولا سيما نحن في هذه البلاد ذات الموارد الزراعية الرئيسية التي تغطي اوفر قسط من نفقات حكومتنا ومواطنينا نرى حاجتنا الى هذه الفنون اشد من حاجة سوانا اليها ولهذا ليس في هذا العالم

من يملك جدارة الحرص عليها في تنفيذ محتوياتها اكثر من جدارتنا

ان المزارعين السوريين ما برحوا يعانون المخاوف العنيفة عند ما توشك مواسمهم الزراعية ان تقترب من فترة الحصيدة والجنيات

ويظهر جلياً ان كل نكبة تحل بها فانها بدون جدل شاملة بويلاتها مجموع الامة السورية ، ولعل المسؤولين في الدولة السورية عاملون على استخدام هاته الفنون من اجل تجنيبها عن كل وجل وخراب

واما مواطن الاصطياف في داخل البلاد السورية ؛ فهي في حالة تستدعي اهتمام المسؤولين بالنظر لما لها من القيمة الصحية والمدنية والمادية ، وبالنظر لرغائب وتفضيل المواطنين السوريين في تمضية ايام الحر في فصل الصيف في مصايف بلادهم التي زودتها الطبيعة بالمناظر البهيجة والنسيم الشافي والمياه العذبة ، ولا نكران ان فكرة الاصطياف والاستفادة من حسناتها الكثيرة قد تأصلت برأس كل ذي يسرة مادية ، ومن المؤكد ان اصحاب هذه الامكانيات المادية لم يأذنوا لتلك الفكرة في استيطانها ضمن مداركهم الا بعد ان تبينت لهم منافعها التي تبرز في عظيم ادخارهم عناصر النشاط الذي يمدهم بمزيد من العون المتواصل حين يزاولون اعمالهم الحرة وسواها في بقية فصول السنة ، فضلا عن انها تتجلى ايضاً في هنيهات راحتهم مع عائلاتهم واولادهم طوال فصل الصيف الذي يواصل لفظ حره وقيظه الشديدين الذين من العسير على الناس ان يهضموهما اذا لم نقل قد يصيبا المتعرضين لجهنميهما باضرار صحية سيما الصغار منهم ولهذا لا يستساغ الغض عنها ولا اغفال شأنها ، لان عضو الرعية صغيراً كان ام كبيراً هو جزء اساسي وتكملة منطقية معقولة لكيان مجتمع الدولة ، واذا ما كان مصابا ومعتلا فان هذه الاصابة وذاك الاعتلال يحيطان بجسم الدولة لا محالة ؛ جريا على القاعدة القائلة : اذا ما كان هذا العضو فقيراً او جاهلا ، فان هذين السهمين الحادين مندفعان بطبيعة الحال نحو موطن الكبد من جسدها ؛ ولكيلا تتعرض مجتمعات الدول في هذا القرن لامثال هذه النبال ، يسارع المسؤولون فيها قبل حلول فصول الصيف من كل عام الى دراسة ما يجب عليهم وان يقوموا به من الاعمال الاصلاحية التي تقتضيها

امكنة اصطياف بلادها ، وبصورة خاصة تصرف جل اهتمامها نحو الطرق التي تصلها بالمدن ؛ والتي تربطها مع بعضها البعض ، هذا اول عمل يستلزمه عقل المسؤول في بلاد رضي بنوها في حكمه واطمأنوا الى استقامة وجدانه لانه مقدمة تبعث الاقبال في نفوس التواقين الى تمضية مده الاصطياف في امكنة توفرت فيها عناصر الحياة الهنيئة الراغدة ؛ شأن المقدمات جميعها التي تستهلها عموم الميادين الفكرية والماديه

هذا هو الاصطياف بناحيتيه الروحية والصحية ، واما من وجهتيه العمرانية الحضارية ، والاقتصادية القومية ؛ فاذا في طريقنا اليها لنجد الاهمية التي تتميزان بها

من الثابت المؤكد ان مراكز الاصطياف في امم الارض قاطبة ذات اتصال بمدنية كل امة منها ؛ واذا ما كانت مصايفها متصفة بدعامة النسب لدعائم حضارتها من الوجهة الهندسية المدنية ، فان الاخيرة الجليلة تغدو متمتعة ببهاء اتساق عناصرها وببهجة تماسكها كما يتماسك بعض اعضاء الكائن الانساني مع بعضه ، واذا ما كانت على فان الثوب المرقع البشع سيكون قميصها ، وعندئذ لا مناص لها ولمصايفها من ان يصبحوا موضع نقد وتخديش وتجريح على السنة الغرباء والسائحين

واما الاصطياف من وجهته الاقتصادية ، فهو لا يضعف قدره اذا ما قيس بأقداره المعنوية الاخرى ، حيث ان اي قطر من الاقطار اذا ما حبته الطبيعة بمواهب الاصطياف المستكمل شرائطه الصحية بالنسبة لارتقاء الحياة الانسانية في هذا العصر ؛ فان الميسورين من ابنائه الراغبين في الراحة واكتساب عناصر الهمة والنشاط سيفضلون مصايفهم الداخلية على المصايف الخارجية ، حتى ولو كانت ترتدي طابع الميزة ، نعم ان اخلاصهم لبلادهم وحرصهم على اقتصادهم القومي سيجعلانهم مقبلين عليها كي لا تذهب اموالهم الى جيوب غيرهم من ابناء الامم الاخرى ؛ وفي ذلك كسب مادي لمواطنيهم القاطنين في مراكز اصطيافهم ؛ ولخزانة حكومتهم بآن واحد

اكتفينا بهذا الوصف الموجز لارتقاء احوال الزراعة والاصطياف في البلاد

الخارجية الراقية بقصد استيقاظ مبدأ النباهة برؤوس حكامنا الوطنيين لعلهم يبادرون الى تسجيل واجباتهم حيال هذين الامرين الهامين

٣ – المرفأ السوري

منذ كان الاحتلال الفرنسي سائر المفعول قبل زواله في هذه البلاد فكر ساسته اكثر من مرة واحدة بانشاء المرفأ السوري في اللاذقية لانهم كانوا يعتزمون اعلانها في يوم من الايام جزءاً من كيان الامبراطورية الفرنسية ، ويظهر ان هذا التصميم استحسن لهم تخصيصها باصلاحات عمرانية مدنية وثقافية وتجارية في عموم مجالات الحياة الانسانية التي يرونها ضرورية لهم في حياتهم الاساسية والكمالية ، ولهذا افاد سكان محافظة اللاذقية من هذه المشاريع الاصلاحية التي نفذت تحت اشرافهم المباشر ، غير ان هذه الفوائد البليغة الجمة لم تكن وليدة مشاعر ايجابية نحو هذا الجزء من سوريا ، لكونهم قرروا البقاء الطويل كحكام يزاولون صفة الحكم بطريقتهم المباشرة . ولكن جهاد الامة السورية ومخلفات الحرب الثانية الاخيرة « من فرص وسوانح دولية هامة » ضاعفت مفعول هذا الجهاد الوطني المقدس واخرجت الجيوش الفرنسية المحتلة بالامس واخرجتها بصورة كلية دون ما رجعة

واعتقد كما يعتقد سواي من ذوى المفاهيم المتواضعة ان بعض عناصر الاهتمام الفرنسي في ذلك الزمن الاستعماري المندثر بمحافظة اللاذقية اشار الى اصحابه الاستعماريين بانشاء مرفئها بشكل هندسي بعيد المدى ليستطيع ان يحتل مركزه البحري بين كبريات المرافئ في العالم ، وبالفعل اجروا اكثر من مقدمة واحدة من اجل اخراجه الى حيز الوجود، الا ان عوامل دولية كثيرة تنازعت مع ساسة فرنسا في باريس وبيروت من اجل غض النظر عنه او ارجائـــه . وهكذا ظل هذا المرفأ السوري الوحيد موضع اخذ ورد وجدل ومماطلة حتى في عهد طائفة من الحكومات الوطنية المتعاقبة فوق كراسي الحكم الى ان جاء عهد بطل القول والعمل دولة السيد خالد العظم وتمكن بثاقب نظره وكامل اقدامه ان يهيأ الجو الملائم لتحقيق هذا المشروع العظيم ، وذلك باعلانه القاطعة

بين سوريا ولبنان ؛ وطبيعي بعد هذا الانفصال ان يفكر المسؤولون بدمشق بالقاء عهدة البدء به وانجازه الي من يجدون فيه الشروط المتناسبة مع المصلحة السورية العامه ، اجل تم توقيع هذا التعهد بين الحكومة السورية وبين الشركة اليوغسلافية في عهد الزعيم اديب الشيشكلي ، ومن الحق علي وعلى كل مواطن ان يعترف ضمن اطار من التقدير والامتنان بما لمعالي وزير الاشغال العامة في هذا العهد الاستاذ توفيق هارون من المساعي المحمودة من اجل البت في هذه القضية الهامة التي ما كاد المتعهدون اليوغسلافيون يشرعون بها حتى وضحت للملأ اجمع الارقام المادية ذات السير المتصاعد من هذا المرفأ في مجـــال الكسب المشروع بالنسبة للسوريين ولا سيما خزانة حكومتهم

واوشكت جهود هذه الشركة المتعهدة ان تصل الى مرحلتها التصفية العملية وتدل قرائن اعمالها الفنية المتواصلة على انها حريصة كل الحرص على نصوص الاتفاقية المذكورة ، والجدير بالذكر مع التقدير والاجلال ان سعادة مديرهـا المهندس العظيم السيد فيركيبه ومعاونيه الموظفين اليوغسلافيين بالاعتماد على سكرتير الشركة رمز الاخلاص والنضوج الاستاذ رياض ازهري اظهروا رغبتـــهم في مناسبات مضت بانهم يودون عن طريق احتكاكهم بالمواطنين السوريين من موظفين وتجار وعمال ان يقيموا علاقات ود وصداقة بين الشعبين السوري واليوغسلافي ، وكذلك جدير بكل ذكر ان محاولاتهم هذه لاقت الجو المطلوب والصدر الرحب لدى عموم المواطنين السوريين ونخص بالذكر منهم المسؤولين في الدولة السورية ؛ ولا ريب ان البرهنة صاعدة من ضمن هذا الجو اليوغسلافي النبيل لتؤكد ان سعادة مديرها العظيم ذو شخصية وطنية مهذبة اذا ما ذكر زعماء الوطنية في يوغسلافيا الصديقة العزيزة وهو دائم الاتصال مع ممثل شركة المرفأ باللاذقية سعادة الامين العام السابق لوزارة الاشغال العامة المهندس المدني الفواق بمداركه الطبيعية المدرارة الاستاذ المدير السيد نور الدين كحـالة ، وذلك ضمن نطاق الاتفاقية المعقودة بين الشركة المشار اليها وبين الحكومة السورية

وكذلك من الحق على المواطنين جميعهم ان يعترفوا بالجهود الفنية التي ما انفك ينفقها سعادة المدير كحاله الى جانب جهود زملائه اعضاء مجلس الادارة السادة المحترمين وديع سعاده المنتخب من قبل المساهمين في نفقات المرفأ سعادة مصطفى الزين رئيس مصلحة المعارف السابق الاستاذ احمد فؤاد، الاستاذ عيسى فوزي، تلك الجهود التي يعرفها ذووها في ظلال من خبر واخلاص وحزم سعاة رئيسهم هي التي ما زالت تفسح المجال تلو الاخر امام الشركة صاحبة التعهد الآنف الذكر وهي التي استطاعت ان تجعل ارباح شركة المرفأ تسير في طريق المضاعفات السنوية، ومن الانصاف ان نأتي على الامكانيات العلمية التي يدأب على انفاقها سكرتير الشركة الاستاذ المحامي السيد فرح باصوص ضمن سياج من مرونته واخلاصه

ان هذا المرفأ السوري الوحيد سائر في طريقه الى الامام ولو انه ما زال في منتصفه لان الآتي مهما بعد فهو قريب، وقد ظهرت خيراته في المئات من الايدي التي كانت البطالة مهيمنة عليها والتي باتت منذ ان ابلج فجر ميلاده محاطة بالنشاط والحركة وطيب الثمر؛ وهناك التجار الكبار والصغار من مختلف مدن الجمهورية شعروا بارقام مرابحهم المالية ترتفع بشكل قوي اذا ما قيست بارباح الاعوام الماضية؛ وهناك خزانة الدولة التي اخذ يصيبها بفيض من ينابيعه العميقة الغزيرة

هذا هو المرفأ السوري الوحيد «سبب التكرار هنا واضح لكل ذي فهم» الذي ما فتئ في النقطة المتوسطة من مراحله العملية، وبهذه المناسبة المالية التى شرع يغدقها على المواطنين وعلى الخزانة العامة، نرى المستقبل القريب حاملا بين جنبيه الخير كله الى الشعب السوري برمته؛ وهناك الجهات المعنوية بالنسبة للدولة السورية اخذت بفضله تسير بالامتداد والاتساع في كنف النطاق الدولي العالمي وبالبداهة نعلم كما يعلم سوانا من الناس انه لا يجوز البتة ان تظل هذه الدولة الفتية الناهضة من مواطن كبواتها السابقة بدون مرفأ تجاري وحربي بآن واحد

ومن اجل هذا وغيره من الفضائل الاخرى يجب على الامة السورية جمعاء ان تعترف بعظيم الصنع الى جانب تقديرها واجلالها لكل رجل ساهم في

اخراج هذه النعمة الكبرى « المرفأ » الى الواقع ، كما ان الواجب المصلحي العام يقضي على المسؤولين الرئيسيين في الدولة السورية ان لا يعبأوا بكل طارئ من الطوارئ السلبية الخارجية النافرة من ولادته والجانحة الى عدم انجاز اعماله الفنية ؛ ويعتقد عارفو صلابة واخلاص مدير الشركة المهندس المدني الكبير الاستاذ نور الدين كحاله ان وجوده كون وما برح يكون جداراً دفاعياً قوامه من الاسمنت والفولاذ تتحطم كل محاولة خارجية سلبية على جانبيه وحبذا القدر يجود بامثاله على هذه الامة

٤ — العمال وضرورة انصافهم

ان لفظة عامل تشمل بمعناها كل انسان متحرك في مختلف الحقول العملية على الاطلاق ، غير ان المفهوم المألوف لدى الناس كافة وفي شتى بقاع اليابسة قد حصر معناها بالعمال العاديين وغيرهم من ابناء المهن الاخرى بما فيها المتوسطة وقد يكون رأيي على جانب من الصواب اذا ما قلت بان الاقطاع والظلم الذين هيمنا على البشرية في احقاب بعيدة من هذا الزمن والذين انعدم كثير من معالمها بسبب انتشار العلم والمعرفة بين ابنائها، قد اوجدا حصر لفظة عامل، ضمن هذا النطاق الذي يدخل فيه هؤلاء العمال المشتغلون بصناعاتهم العادية والمتوسطة على حين ان الفلسفة صناعة ، والحكم صناعة ؛ والطبابة صناعة ، والى ما هنالك من الاعمال المحترمة التي تلبس هذا الرداء راضية فخورة ؛ الا ان استدامة « المفهوم المألوف » المتقدم ذكره ما زال عالقاً باذهان الكثيرين من الناس في كثير من بلاد العالم ، واعتقد ان السبب في هذه الاستدامة ، يعود الى تلك الهيمنة الاقطاعية الظالمة التي ما فتئ ذووها يتمتعون بسلطانها الثقيل المشبوه في قليل من البلدان الاوربية وفي المعظم من المدن الاسيوية والافريقيه وغيرها ؛ وكذلك اعتقد كما يعتقد سواي من ابناء النوع الانساني في كل الوجود ان هذا السبب هو من الاسباب الرئيسيه التي افسحت المجال امام المبادئ الشيوعيه التي تحمل بين اهدافها « بعبعاً مرعباً » بالنسبة لكل ظالم متحكم برقاب المعوزين وبالوقت ذاته تتصف بجنوحها الى دفع كل انواع الظلم عن العمال بكافة طبقاتهم

والى رفع مستوياتهم في عموم مقتضيات الحياة ، والدلالة على ذلك هي واضحة في قذف الدفعات المالية البليغة من قبل الرأسمالية العالمية الى قادة الشعوب الغارقة في خضم الفقر والمرض وظلم الاقطاعيين لان قادتها يرون في هذا السلاح اكثر مضاء من سلاح المدفع والطيران . ولكن هذا القذف المادي ، لا يراه العقل الانساني الهادف في كل الظروف وفي شتى امم العـــالم الى بعث العدالة بعموم وجوهها ، من مرقدها الا بمثابة « رتق لفتوق كثيرة شوهت وما انفكت تشوه الرداء الانساني » الذي يفضل عليه الانسان لباساً جديداً لا فتق فيه حيث ان الشيوعية قد وعدته به اذا ما اخذ بها وعمل على تطبيقها ، نقول ذلك على ذمة زعمائها الشيوعيين لانني لست شيوعياً ، الا ان الواقع الانساني الذي استوطن نصوصها يقضي على ذوي الانصاف من الباحثين ان يقولوا الحقيقة لوجهها وحسب، حتى ولو ان هذه الصراحة تسبب لهم بعض الاضرار

نعود الى بحثنا عن العمال في بلادنا وعما يقاسونه من المتاعب والاوصاب في معيشتهم اليومية الشاملة لعوائلهم واولادهم بسبب قلة الاجور التي يتقاضونها من اصحاب العمل لقاء ما ينتجونه من الخيرات العائدة الى صناديق الاخرين ، بينما كان وما زال الواجب المعقول يقضي بانصاف هؤلاء العمال عن طريق ايجاد لجنة دائمية قوامها من ذوي الخبرة في مختلف المهن والاعمال الحرة لتبحث هذه الامور ذات القلق والاضطراب بين العمال واصحاب العمل ، ولعل العقل المنصف الجاثم في اعضاء منتقين من الافاضل اذا ما اعطي لهم حق التقرير ، فان ازالة ذينك القلق والاضطراب تصبح ملك ايديهم على التأكيد لان باب الانصاف كائن بردفتيه المغلقتين ينتظر الراغبين ليدقوه بايديهم المهذبة ، واما ولوجهم فيه فهو من السهولة بمكان عظيم

اجل اذا ما تم ايجاد تلك اللجنة الخبيرة ؛ واذا ما قررت انتاج العامل بخمسة وعشرين وصاحب العمل مع رأسماله في ناحيتيه العلمية والمادية بخمسة وسبعين ، فان الذهنية الانصافية الجاثمة بنفوسهم جميعاً تصبح راضية شاكرة ، واما التعويض المادي في ظروفه المعقولة للعامل فهو ضمن هذه النسبة لا محالة

ورغبة في الايضاح اقول ان القصد في الناحية العلمية التي ضمها هـــذا التقدير ، هو ادخال رهط ذوي العلوم والفنون في هذه النسبة التخمينية المعقولة حيث ان المهندس والمحامي والدكتور قد كلفوا آباءهم واولياءهم نفقات مادية هي دون ما شك من الضخامة بمكان قصى فضلا عن جهودهم الروحية والجسدية التي صرفوها فوق مقاعد الدراسة منذ السادسة من اعمارهم ، ولذلك يرى العقل المنصف ان هذه الجهود وتلك النفقات بمثابة رأسمالي مادي يعتمد عليه مطلق صاحب عمل

ومن الصواب ان يفطن كل ذي عمل في اي بلد من بلاد العالم الى ان الغدر شيء يتنافى مع العامل الذي يمت الواحد الى الآخر منهما باقدس الروابط الانسانية لانهما متحدران من صلب واحد ، ومن بطن واحد ؛ وكذلك ان هذا الغدر اذا سكت عنه العامل بحكم اضطراره لتأمين نفقات عيشه ومن يعيشون في كنفه ، فان هذا السكوت الارغامي . قد يعقبه انفجار ليس بمصلحة دائرة العمل وقديماً قيل : ان مبدأ العقل قضى وسيظل قاضيا على صاحبه ان يعمل على درء الخطر قبل وقوعه ؛ واذا ما تمكن الانسان المحدود بعقله ، بواسطة ادارتـــه المحدودة ، من تخفيف وطأة هذا الخطر او غيره من الاخطار الاخرى ، فانه لن يتمكن من محوه بكليته ، ولذلك يجب ان يعود كل واحد من المواطنين الى مبدأ العقل هذا ، واذا ما اطلق صاحب العمل لعقله مجال التفكير بحقيقة وجود اخيه العامل في هذه الدنيا وبما تتطلبه من وسائل العيش المتوسط وبما يفرض الاخير عليه من اقتحام المخاطر والاهوال في ظروف الشدة ، لايقن انه على خطأ في استرسالة بغدره حين يفرض على العامل اجورا نتاجه التي لا تتناسب مع مايصدره من ارقام خيرات صنعه . واننا نرى في خطأ هذا الاسترسال مرحلة تطورية قد لا تعتم ان تنتقل به الى طور الانفجار الذى سيصيب بويلاته صاحب العمل وحسب

هنا وهنالك كثيرون من العمال العاديين المصابين بالضعف النفسي والفقر المادي يتناولون اجورا لا تقوم باودهم الضروري اليومي ولكن لكل شيء في

الحياة بداية ونهاية ، غير ان العاقل اذا ما ادرك موطن الخطأ او الخطر اوجبت عليه مصلحة بقائه ، ان يجتنبه ليضمن لنفسه السلامة

٥ = ذهنية التوظيف، والموظفون

ان المستعمرين في عموم البلاد المستعمرة « بفتح الميم » سيئات كـــثيرة وحسنات محدودة، ورغبة في الايضاح لتبرأة الذمة ، اود ان اتكلم عن هذه الحسنات

يبدو بكل وضوح ان مطاق غازى اذا ما استقر به غزوه المسلح في اية بلدة من البلاد المتأخرة ، فانه حامل ضمن برديه نصيبه من علوم وثقافات وفنون بلاده وبحكم هيمنته القسرية على سكانها ؛ وبفعل معاشرته لطائفة من موظفيه المواطنين ولغيرهم عن طريق الاجتماعات الخاصة في اوقات السمر وسواها ؛ تنتقل اليهم اشياء كثيرة من تلك المبادئ الانسانية والعادات الاجتماعية العادية لان الانسان المتأخر المستعمر يرغب في الافادة من كل شيء جديد كالغافي الذي اذا ما سمع النداء فان اليقظة تغدو ملء جفنيه وتدفعه الرغبة في الاستكشاف متسائلا : هل هناك جديد ، واذا ما كانت الاجابة مصحوبة بقليل النفع او كثيرة ؛ فانه يحتل مقعده فوق صعيد الفرحين ، واذا ما رافقها بعض دفعات الخوف والرعب ؛ فان ذهنية الجبروت النائمة في نفسه لا تلبث ان تتحرك بغية الاستمداد لاتقاء هذه الشرور ، وفي كلا الحالين « الايجاب والسلب » يعتبر المستيقظ من نومه نفسه بانه قد افاد وبصورة خاصة اذا ما تمكن من رد المغبة وسوء العاقبة الى حيث اتيا

وكذلك يدخل في نطاق حسنات المستعمرين « بكسر الميم » هبوب المستعمرين من كبواتهم ومواطن عبوديتهم بسبب ظلم الاولين وتحكمهم بمقدراتهم العامة ويمتطون متون الخطر متحينين السوانح ، بل يعملون على ايجادها بعظيم تصرفاتهم كي يتخلصوا من ضغط هذه الاعباء ، ولينعموا بخيرات بلادهم في كنف حقوقهم الانسانية « في مجال الحكم الذاتي »

واما سيئات المستعمرين هي من هذا النوع وغيره ، وقد سبق لابحاث هذا الكتاب ان اتت عليها بيد اننا نود ان نبحث الفقرة الخامسة هذه لانها من كبريات تلك السيئات ؛ ولعل القارئ الساذج يأذن لباله لان يرفـــل في نعمة

الهدوء لنأخذ نصيبنا العادل من غض طرفه لاننا نستولي على طائفة من ثواني وقته حين يقرأ استهلال هذه الفقرة الذي لم يكن لنا اي مناص من تسجيله

اعتاد المنتهون من دور الثقافة الثانوية الاكمالية والجامعية ان يوجهوا ابصارهم نحو دوائر الحكومة في عهد الاحتلال التركي والفرنسي باحثين عن الشواغر فيها ليملؤوها وليتقاضوا لقاء ما يصرفون من جهود يومية رواتب شهرية يعتمدون عليها في تأمين نفقاتهم الضرورية والكمالية ؛ وقد باتت الذهنيـــة التوظيفية هذه هدفاً لكل من لا يجد امامه باب عمل من الاعمال الحرة . وفي ذلك مصيبة على الامة

وليس من مصلحة الاستعمار ان يوجه اذهان ذوي اليسرة والاموال الزائدة من المواطنين الى الاخذ بالفكرة التعاونية العملية التي ادت باصحابها في البلاد الراقية المستقلة الى تأسيسهم بيوت الاعمال من مختلف الانواع والتي اشغلت اذهان بنيها وايديهم واصبحوا يعيشون مع المسؤولين عنهم في بحبوحة من العيش الرغيد ، وطبيعي اذا ما فضل حملة الشهادات الثانوية الاكمالية والجامعية في بلاد من هذا النوع العملي المفيد ، الاشتغال في ميادين تلك الفكرة التعاونية العملية الرائعة ؛ ولم تكن الارادة الاستعمارية السلبية هذه بالامس سبباً وحيداً في اتجاه المثقفين في بلادنا نحو اقتناص الوظيفة ، بل هناك سبب آخر لا يقل شؤما عن سابقه ، اجل ان الخمول والوجل المستولين على اصحاب الثروات الثروات النقدية المصابة بعفن القدم بعد ان اصيب ذووها السوريون بجفاف نفسي قبيح ، كان من الطبيعي ايضاً ان يثابر المئات بل الآلاف من مالكي هذه الشهادات المحترمة على تصويب انظارهم نحو وجهة مكاتب الحكومة ، وليس ببعيد عن كل ذي فهم ان الامة الراغبة في استدامة حياتها المستقلة ، ليست هي هذه . الا انها تتمثل متجسدة في المدن الفاخمة في فردوس الفكرة التعاونية التي اقام ابناؤها على اركانها « الاسهمية » دور الاعمال المنوعة الكثيرة

والان نود ان نلفت انظار الموظفين في دوائر الحكومة السورية من المواطنين وغيرهم من ذوي العقود بشكل مطلق الى ان ساعات الدوام ليست ملكا

من املاكهم الخاصة ، بل هي ملك لابناء الامة الذين يكونون بمجموعهم دون استثناء مجتمع الدولة التي يقيم مفهومها الاجتماعي - البون بشاعته - بينها وبين الحكومة التي تفسر - بالهيأة الاجتماعية الحاكمة ، او الوظيفة ، والى ما هنالك من مسميات اخريات

وكذلك نحيطهم علماً بان الذوق المصلحي العام يقضي عليهم لان يتجملا برحابة الصدر والسلاسة التعاملية حين يأتيهم ذو مصلحة من المواطنين ولا سيما اذا كان الاخير غير ذي فهم حيث سبق لاهمالهم ان اضر بمصلحته ، كما ان عدم ارضائهم لشعوره جعله وهو خارج الى الشارع يشتم الدولة والحكومة في قرارته في حين ان درهم هذا الجاهل المصدوع هو الذي يضمن سير الحكومة الى جانب درهم اخيه من المواطنين ؛ وبالوقت نفسه لايأذن مبدأ الائتمان لحضرات الموظفين ونخص بالذكر منهم كبارهم لان يضيعوا احايين دوامهم في التسلية (والات والعجن) حرصاً على مصالح الناس التي تستوجب السرعة في سيرها النظامي التسلسلي ؛ ونعتقد ان الموظف المهذب الامين هو الذي يقوم بواجبه مطمئناً ؛ ويقبض راتبه مطمئناً الى انه حق وانصاف وفي ذلك كفاية

الفصل الرابع

فلسطين الذبيحة

١ – استنتاج حول بداية نشوئها . ٢ – الساسة والزعماء العرب
٣ – العسكرية ومفعولها

١ – استنتاج حول بداية نشوئها .

ان فكرة انشاء دولة اسرائيل في الجزء السوري الجنوبي (فلسطين) ليست وليدة وعد بلفور الذي لفظه صاحبه بعد الحرب العالمية الاولى من اجل ايجاد وطن قومي يهودي وحسب ، بل هي جاثمة باذهان زعماء اليهودية العالمية منذ مائة عام او اكثر ؛ الا ان الوعد المشؤوم هذا جاء بمثابة توطئة لتكوين الدولة الاسرائيلية ، وبالبداهة يتبين لذوي الافهام انه لا يوجد طريقة معقولة اخرى لولادة هذه السلطة العدوة ؛ غير الطريقة التي نجح بها اليهود في اقتناصهم وعد بلفور الذي اعطى للقاطنين منهم في فلسطين حق الاستيطان كما كتبها الوارثين ملكيتها عن ابائهم واجدادهم ، وكذلك بالبداهة يتضح من ضمن هذا النجاح الصهيوني ، ان اليهودية العالمية تثق بقدرتها في مختلف الميادين العامة ولا سيما الدولية منها فضلا عن انها تملك الملايين من الاموال التي لا عدد لها وراحت تزن شبر الارض الواحد بما يعادل ثقله ذهباً وهاجاً واخاذاً مستفيدة من ظروف الضيق المادي التي كانت تحيط باصحاب الاراضي الفلسطينين ؛ وطبيعي اذا ما استخدم صاحب الحاجة كل ما لديه من وسائل ليصل الى بغيته ، غير ان المهم بالامر ليست الاعوام الطويلة التي ساختها اليهودية العالمية في تقريرهـــا القديم القاضي بخلق دولتها ؛ وليس المهم اقدام المالكين على بيع اراضيهم لان الضغط

البريطاني عليهم في ذلك الحين قد بلغ اشده ، واضف الى هذا وذاك ؛ اعتماد الصهيونية العالمية على نفوذها القوي في العالم الدولي وعلى عظيم اصطبارها الذي ليس له نظير ولكن الاهم من كل ما تقدم هو ان يجابه هذه الامكانيات الهائلة بجبروتها الموقف العربي الفلسطيني المرجوج المضطرب من وجهته النفسية ، واذا ما اتينا على الفقر المادي الذي كان يهيمن عليه فاننا واجدون الا كراه البريطاني من اجل تنازل المالكين من ذويه عن ملكيتهم في اراضيهم لاصحاب الوطن القومي اليهودي ، عاملا من العوامل الرئيسية التي ساعدت على انشاء الدولة اليهودية في فلسطين العربية ، ولكني ارى كما يرى سواي من المواطنين العرب ان هذه العوامل القوية العنيفة المتقدم ذكرها كان من الممكن ان نطمئن الى زوالها لو ان اصحاب الملكية العربية وقفوا متحدين بكل معنى الاتحاد وواصلوا قذف الضحية بعد الاخرى من ابنائهم الى عتبة نكرانهم وصخبهم على ذلك الضغط الانجليزي الذي ما سبق ان صار مثيل له في العالم ، اجل لو ان هـــذا الاتحاد وتلك التضحية الدامية الدائبة توفر لديهم لكان النصراء من محبي العدالة والانصاف اندفعوا بتأييدهم للشعب الفلسطيني العربي المقاوم ولعملية انتزاع ملكية آبائه واجداده ، حيث ان من الثابت المؤكد ان كلا كراه او ضغط دوليا كان ام غيره ليس بمقدور ذويه بلغ بهم السلطان ان يضمنوا البقاء الدائم لهذا النوع المتناقض مع ناموس البقاء وبقاء الانسب ؛ وكذلك ليس في هذه الدنيا قديمها وحديثها امة مغلوبة على امرها ، الا وخرجت من ميادين القتال والشرف متوجة المفرق بمعالم الانتصار ، وطبيعي اذا ما كانت امة من هذا النوع الوطني العظيم قد خلا من بين ابنائها المارقون والجبناء والمائعون

نذهب في مجال هذا الاستنباط الذي اتوقع له الصواب ، على حين انني اقول ان الثورات الفلسطينية الدامية قد قامت بقسط من الواجبات الوطنية الملقاة على عواتق المرضين للضر والاذى ، ولكنها لم تكن كافية لجعل شعبها المظلوم قادرا على دفع العدوان عن جوانبه ، وقد يكون في طويات القضية الفلسطينية اسرارا اخريات لا علم لي بها ولهذا اتركها للواقفين عليها لاستأنف المسير في طريقي لاسكب

الاخطاء الكبرى التي رافقتها منذ اعلان حرب الجيوش العربية عام ١٩٤٨ على الصهاينة المسلحين للاجيال القادمة الى جانب من هم اوفر في مادة من المشتغلين بصناعة القلم لان في تسجيل الحوادث الكبيرة والصغيرة فوائد للراغبين من القادمين الى هذه الحياة

عند ما اعلنت الحكومات العربية حربها المسلحة على المعتدين على حقوق المالكين العرب في فلسطين ؛ لم يكن هؤلاء المعتدون اليهود يملكون قوة حربية تذكر ، ولذلك قاسوا الضنى والويل من جراء اشتعالها ، الا ان اليهودية العالمية ذات النفوذ البعيد المدى في المحافل الدولية استطاعت ان تقنع الدول الغربية الموالية الراغبة في ولادة الدولة اسرائيلية لبعث مشروع الهدنة بين هذه وبين الدول العربية لشهر واحد ، نعم فوجئ الناطقون بالضاد باعلان هذه الهدنة التي اعطت اوضح الصور عن ميوعة وخذلان ساسة العواصم العربية ، ولكن الجيوش العربية وقادتها باستثناء من عبر هذا الزمن منهم الى عالم الخلود وبعدم الاتيان على ذكر بعضهم الذين يعملون في نطاق المصالح الاجنبية ، قد ابلت البلاء الحسن حين كانت تمطر تل ابيب وغيرها من المستعمرات اليهودية بوابل من مختلف انواع قذائف الهلاك والحمم

وبمناسبة حديثنا عن هذه الهدنة او بعبارة اوضح وافضل (صك العار) نرى من الانصاف ان نذكر للقطب الوطني العظيم فخامة رئيس جمهورية سوريا المستقلة السابق السيد شكري القوتلي موقفاً هو من الروعة الوطنية بمكان قصى معتمداً في سرده على صديق لي كان في معية احد اقطاب ممثلي الدول العربية الذين اكتمل عددهم خصيصاً لبحث الهدنة في احد المصايف اللبنانية في ذلك التاريخ ، ولاول وهلة من ساعات هذا الاجتماع التاريخي الخطير يسمع هذا القطب المدهش بوطنيته رغبة اقرار الهدنة لشهر واحد من اكبر ممثـــل لاعظم دولة عربية ، نهض متجهاً نحو المحدث الراغب .... واضعاً يده في وسطه على الطريقة الشعبية التي يسلكها العقلاء في المناسبات الكبيرة قائلا له بالحرف الواحد وبالطريقة العامية (ايدي بزنارك يا باشا عيف الهدنة) بيد ان الجدوى ما كتب

لها اي نصيب في معرض هذا الرجاء المنبثق من قرارة نفسية صاحبه المخلص العظيم الذي ولاريب ان النظائر انعدمت ازاء مداه البعيد ؛ ثم وقع هؤلاء المثلون صك العار وتمكن اليهود بسببه من جلب شتى انواع السلاح ثم دارت الحرب بهولها في كنف الاجواء السياسية الدولية المعادية للعرب وكانت بعدئذ الدولة الاسرائيلية الآخذة بالنشاط بغية التوسع والفتح على حساب الدول العربية ، ثم اندفع احد الطلاب الجامعيين في عاصمة الباشا بمسدسه في وضح النهار وافرغ رصاصات الحق والعدالة في جسد ووورييرمسه غير مأسوف عليه ؛ ولعمر الحق والعدالة انها جزاء الخائنين

لا اشك البتة في ان عموم الناطقين بالضاد المقيمين منهم والمغتربين يشاطروني القول : بان شهر الهدنة الاول لو لم يكن وظل القتال العربي سائراً في طريق انتصاراته المتواصلة لما كان في العالم شيء اسمه (دولة اسرائيل)

٢ — الساسة والزعماء العرب

بعد ان اغتصبت الاراضي الفلسطينية من اصحابها وشردوا عنها الى البلاد العربية المجاورة في حالة من البؤس والاضطراب النفسي الشديدين ظن المواطنون المنتشرون في الدنيا العربية بان هذه الخسارة بل هذا الانحدار السياسي المعيب بالنسبة لساسة العرب وزعمائهم ، اجل ظنوا بان هؤلاء الاخيرين سيغضون انظارهم عن كل مغنم في ناحيتيه المادية والمعنوية ؛ وسينبذون من قلوبهم كل حقد وضغينة وسيجمعون كلمتهم في الميادين الدولية ويوحدون قيادات جيوشهم العربية لتقوم بدورها بعملية الثأر للكرامة العربية المهانة ، ولكن شيئاً من هذا لم يكن مع الاسف ، ويظهر ان هذه الكارثة لم تحرك في نفوسهم عناصر الوجل على عروشهم وتيجانهم ، وكذلك لم تحرك فيهم عوامل النباهة والخشية على فلذات اكبادهم في المستقبل ، وليس بغائب عن الذهن ان المصائب الكبيرة والصغيرة في عموم العصور وفي كل الامم حتى المتأخرة منها كانت وما انفكت تعطي مفعولها العظيم في نفوس اصحابها وتوجه اذهانهم الى ضرورة اطلاق الفكر ليهبط ميدان العمل منقباً عن سلاح الثأر والوقاية من تكرار حدوث مثيلاتها من الارزاء

والفواجع غير ان ساستنا وزعماءنا العرب في العواصم العربية لاهون بمناصب امجادهم الخاصة وسادرون في استسناح الفرص لينقض بعضهم على الآخر اشباعاً لغرائزهم الضارة المؤذية التي لم تعد خافية على ابناء البلاد العربية ، واذا ما ولجنا الطريق في البحث عن سياساتهم المتضاربة مع واقع العالم العربي بما فيه حكوماته وشعوبه ، فلاننا نود ان نندفع بكيول اللوم والنقمة على مناهجهم الخصوصية التي افسحت المجال لعناصر الخطر اليهودي الآخذة بالتزايد والمنعة حيث يغدو من العسير علينا ان نخوض المعركة الثانية الرهيبة التي ـ تكلف الناطقين بالضاد جميعهم عدداً من الارواح ليس بمقدور العقل احصاءه ، نعم ان البضعة اعوام التي انسلخت بعد وقف القتال في فلسطين الشهيدة مكنت اليهودية العالمية واعوانها الدوليين من تقديم امكانيات التوسع والفتح الى دولة اسرائيل ، وان كل وقت يعطى للاخيرة هو بمثابة مصيبة جديدة على الاقطار العربية ؛ ولهذا يرى هذا العقل ان الفرص تتوالى وهي مفتحة الابواب امامها وامام ابنتها حكومة اسرائيل ما دام المسؤولون في البلاد العربية مشغولين بانفسهم عن مصالح حكوماتهم وشعوبهم ، ولكنه لا يدري الى اى حين سيظل هؤلاء الساسة غارقين في هذا الخضم من الاهواء والميول الخصوصية المتشابكة بعضها مع البعض الاخر ، اتراهم غفلوا عن مناصب امجادهم التي ستصبح في قريب الايام او بعيدها موضع انقضاض عسكري يهودي ، اتراهم الى متى يسترسلون في تغاضيهم عن آلام الهجرة والاغتراب القريبين ؛ ام انهم ما برحوا يستأنفون تجاهلهم للآلام المضنية التي رافقت عملية طرد وهرب اخواننا الفلسطينيين من ديار آبائهم واجدادهم حيث استقروا في البلاد العربية التي لاقوا فيها العناية الدائمة ، في حين انهم بالرغم عن تلك الصدور الرحبة التي استقبلتهم واشبعتهم من كريم عطفها ما خفف عنهم وطأة هذه الكارثة ، نعم بالرغم عن هذا الاستقبال وذاك الاشباع قد تفشت الامراض العادية والخطيرة بين هؤلاء الاخوان الاعزاء لاسباب كثيرة ليست ببعيدة عن اذهان البلاد العربية . ولعل الاضطراب النفسي الذي بلغ بهم اشده حين تركهم الجبري لبيوتهم وممتلكاتهم يجيء في طليعة الاسباب التي اخلت الطريق

من المناعات الصحية بوجه هذه الامراض . واري سبباً ثانياً يجتذب الي صاحبه كل انواع الاعتلال وهو منطلقاً بخطاه السريعة من ظروف الهجرة والالتجاء المحشوة بنقائص الفقر وادران البؤس . ولذلك اذا ما وجدنا هؤلاء الاخوان الفلسطينيين في هذه الحالة المحزنة المبكية . فهي نتيجة منطقية وحتمية لكل امة تهزم في عقر دارها . فكيف بهم وهم لم يهزموا في بيوتهم وحسب . بل ارغموا بالهجمات المسلحة المفاجأة على الخروج منها لا يفكرون باي شيء سوى السلامة لارواحهم مع عائلاتهم وفلذات اكبادهم

ولا ريب ان القضية الفلسطينية التي غدت قضية العالم العربي باسره تسير بسبب اختلاف وانقسام هؤلاء الساسة من سيء الى اسوأ

وكما تدل الانباء السياسية الخارجية التي توفرت لدى قراء العربية وغيرها على انها سائرة نحو التدهور المفجع بل انها قد تصبح في يوم ليس ببعيد محط استقرار لسياسة اسرائيل ، ولا ريب ان هذا الاستقرار المشؤوم بالنسبة لمصالح البلاد العربية سيكون بداية انطلاق جديد للغزو اليهودي المسلح الذي يعتلج ضمن افئدة اليهودية العالمية وعملائها منذ عشرات السنين ، وليس بغائب عن كل ذي فطنة ان هذا الغزو المسلح المنتظر سيكون من العنف بدرجة بعيدة لان الاستعدادات السياسية والامكانيات الحربية التي يعمل اليهود على تكتلها وتجمعها لديهم ستكون في السنين المقبلة مدعاة لوقوع مجزرة انسانية رهيبة بالنسبة للدول العربية وجيوشها ولكن العقل الواعي يتساءل في هذه المناسبة الكريهة ؛ اليس كان من الممكن ان يتفادي العرب واقطابهم تلك المجزرة المنتظرة ؟ نعم كان بمكنتهم ان يتجنبوا هذا الهول فيما لو انهم من بداية الصراع العربي اليهودي حزموا امرهم وتنازلوا عن انانيتهم وتركوا شهوات الحكم ونزلوا عند المنطق المصلحي المعقول ولكن بالاسف آثر ساسة الدول العربية الاحتفاظ بمناصب الدولة واطلقوا المجال بسبب هذا الجنوح الرديء للدولة اليهودية ان تعمر وتعتد وليس ببعيد اذا ما استؤنف اليهود عمليات هذا الامتداد الى ما وراء حدود اسرائيل الكائنة

ان هذا العقل المتساءل نفسه لا يستغرب امتداد سيطرة اليهود الى ربوع وطننا الغالي الذي ورثناه عن الاباء والاجداد والذي يجب علينا ان نورثه الى الابناء والاحفاد غير ان ناموس الوراثة الذي الف الصدق واصطحب الامانة في نقل الاشياء الى ذويها قد لا يستطيع في هذه المرحلة التاريخية الخطيرة من قيامه بتمثيل دوره المعتاد لاننا نحن سكان البلاد العربية ونخص بالذكر منهم السوريين واللبنانيين كنا وما فتئنا سبباً مباشراً في اقامة هذه العقبات وتلك العراقيل في هذا الطريق

اليس من العجيب ان يظل ساسة العرب سالكين هذا الطريق المعوج او ليس اعجب من كل عجيب ان يستمر هؤلاء الساسة في حرصهم على مناصب الحكم ؟ بينما بوادر الفناء والابادة تلوح بالافق العربي

على حين ان المرأة في خدرها البعيدة عن كل مفهوم سياسي وقومي تعلم علم اليقين ان اليهود حين تم لهم اقامة دولتهم منذ بضعة سنوات لن يكتفوا بهذه البقعة من الجزء السوري الجنوبي « فلسطين » بل انهم سيستخدمون كل ما لديهم من امكانيات معنوية ومادية من اجل توسيع نطاق دولتهم على حساب الدول العربية المجاورة ، الا ان زعماء العرب قد تعاموا عن هذا المفهوم وتجاهلوا (تجاهل العارف) عما سيعقبه من الاخطار بينما وجدنا في جميع العصور وما زلنا نجد في عصرنا هذا ان العقل يقضى على صاحبه لان يدرأ الخطر عن جوانبه قبل استفحاله او وقوعه ، بيد ان هذا المبدأ المعقول ليس له من اثر بين زعماء البلاد العربية وحكامها

ليعلم القاصي والداني من سكان اليابسة بما فيهم ساسة الامم المتمدنة ان اليهودية العالمية وابنتها اسرائيل يبذلون جهدهم طوال الليل والنهار من اجل اقامة الدولة اليهودية الكبرى على انقاض ممتلكات الاباء والاجداد ليقيموا في محلها اسساً راسخة لتلك الدولة ، وفي ذلك اعتداء صريح على الحقوق الانسانية الملكية وبعد ذلك هناك مقبرة ينتظر لحدها البار الوفي الشهيد ، وهنالك بيداء سيهيم فوق اديمها التائه الشريد وهناك الاسواق والقصور اليهودية تنتظر الخادم والعبد الحقير

هذا هو المصير الاسود الذي ينتظر ابناء العالم العربي اللهم الا اذا ظهر في هذا العالم من يملك قدرة نصب الحواجز والسدود في وجوه الطامعين من ساسة العرب وزعمائهم

وليس لنا الا ان نقول في هذه المناسبة المشؤومة حسبنا الله ونعم الوكيل

٣ — العسكرية ومفعولها

يستدل العقلاء المخلصون من ضمن الكارثة التي حلت بالاقطار العربية من جراء ما آلت اليه القضية الفلسطينية في وهاد الفشل ومواطن النقصان والعار، بان المنطق المصلحي المعقول يقضي على الحكام العرب ان يتركوا معالجتها بطرقهم السياسية المحاطة بالعيوب والمخازي الآنفة الذكر؛ الى صانعي الموت من قادة الجيوش العربية الذين يفهمون في مجالاتهم الحاسمة شيئاً واحداً لا ثانية بعده، الا وهو الواحد اذا ما اضيف اليه رقم مماثل لوحدانيته فان نتيجة الجمع يتمثل فيها اثنان (٢) وكذلك اذا ما ضما اليهما مثيلان لهما، فان الارقام الاربعة حاصلة في جمعها ايضاً حيث انهم لا يجنحون الى اساليب الخـــداع والالتواء ولا الى وسائل الميوعة والمداورة والمد والجذر لان منطقهم العسكري المعقول ينظر الى وقائع الاشياء سابراً وفاحصاً ثم مقرراً بنسبة ما يقتضيه كنهها وسرها، كما ان هذا العقل المخلص المستدل يقول جازما: لو ان ساسة الحكومات العربية قرروا منذ الساعات الاولى من هذه الحرب «القاء القضية الفلسطينية» بين ايدي العسكريين لما كان في الشرق العربي بل لما كان في الدنيا الانسانية قاطبة من يتحدث عن شيء اسمه كارثة او عيب، وخذلان، بل لما كان فيها من يسمع بوصمة الهجران والالتجاء الى الجيران والاقارب؛ وليس بمقدور هذا العقل الا ان يردف قائلا: «لا مناص للقضية الفلسطينية التي غدت بمثابة العرض والرغيف والكساء الضروري للعالم العربي باجمعه، اجل لا مفر لها بعد تفاقم اخطارها الا ان يندفع الى احضان الابطال العسكريين العرب الذين سيلقنون انشودة البطولة والثأر الى الدهر ليلقن بدوره على اسماع الاجيال القادمة كل ما من شأنه ان يهيأ في ذهنيات ابنائها الاستعداد الدائم لدرء الخطر قبل وقوعه؛ وبالوقت

نفسه سيلقي عليهم هذا الدهر ببيانه الواقعي الرائع وطأة الكوارث وعار المخازي ليصبح واضحاً جلياً في بصائرهم وامام ابصارهم مدى القصور والتجني الذين اقترف اثميهما ساسة العرب في النصف الاول من القرن العشرين ازاء فلسطين العربية

نعود في حديثنا الى الثقة التي تعتمر به قلوب الناطقين بالضاد المقيمين منهم والمغتربين والتي تنطق قائلة : لا يوجد في هذا العالم قوة تستطيع ان تضمن البقاء الطويل لدولة اسرائيل ، حيث ان الاعطيات وجمع الاعانات الخارجية والاعتماد على الاستيراد ما دخلت ولن تدخل في مقومات الدولة ولا في شرائطها الثانوية وقد سبق لعلماء الاجتماع في الحقبات الماضية من الزمن البعيد الخالي وفي العصور الحديثة ان درسوا دعائم الدولة الحديثة في كنف جنوحهم لاستدامة بقائها الدولي في ميدان التزاحم الدائم فوق اديم اليابسة ، وقرروا لها الارض مباشرة وعينوا لكل فرد من رعاياها ارقاماً معلومة من الهيكتارات ، وطبيعي اذا ما ادخلوا في حساباتهم هذه مقدار حاصلاتها لتأمين دوام عيشه ولتوفير القدرة المالية لديـــه لتمويل خزانة بلاده الى جانب انتفاعه منها في نواحي الحياة الترفيهية الراقية ؛ وطبيعي ايضا اذا ماتم لهذا الفرد في هذه الدولة هذا الترف عن طريق تصدير الفائض من منتوجه المنوع الى البلاد الخارجية ، وهنالك شروط ثانوية اخرى يشمل بعضها برامج التربية ومختلف العلوم والفنون التي يفرضها ارتقاء الحياة الانسانية والبعض الآخر يستلزم تطبيق العدالة لينعم مواطنوها في ظلاله ، ولا ريب ان هناك اشياء صغيرات آخريات تمت بالقرابة لهذه المقومات وتلك الشروط لا نرى ضرورة في الاتيان عليها لكونها معروفة لدى البسطاء من الناس

واذا ما اتيت بهذا العرض عن قوائم الدولة ، وعن فقدانها من دولة اسرائيل فليس ذلك معناه ان منشأ الثقة المتقدم ذكرها هو من صادرات هذا الافتقـــاد بل ان مصدرها آت من شعور صاحب الحق الذي فجع بحرمانه من قداسته

وليس في العالم قاطبة غابره وحاضره حق يسمو بقوته وقداسته على احقية الفرد الانساني في حرصه على بقائه ضمن بيئته ولا سيما اذا ما كانت موروثة لانها

تتميز بطابع المملكة القديمة ، وقديماً قيل وما زال العقل يقول مؤمناً ومعلنا ، ان عدة مئات من السنين كافية لولادة امة واستيطانها ضمن ارض معينة من بقاع المسكونة ، ولها الحق ان تطلب الاعتراف بوجودها « كأمة » من الامم المجاورة لتخومها ، كما ان الاخيرة هذه اذا ما سجلت هذا التصريح فان الحق والعدالة يحيطان به من كل جانب ؛ وكذلك ان عدة مئات اخريات كافية لازالة امة من فوق هذا الوجود ، وقد تختلف عناصر فنائها وابادتها غير ان المهم في هذه القضية وغيرها من القضايا كما تقول الحكمة « الامور رهينة بنتائجها »

ورغبة في دفع كل التباس في المفهوم الواحد الذي تدخل ضمنه الامة ، او الدولة ، تقول ان كليهما يعطي احدهما صورة واضحة واحدة عن الاخر بعكس معنى الحكومة التي اوضحت جهازها في اكثر من مناسبة واحدة مضت في هذا الكتاب ، ان الامة اليهودية ، او الدولة اليهودية القديمة قد ازالتها موجات الغزو والكسح منذ الفي عام ونيف وذابت عناصرها القومية في قوميات الامم الاخرى ذات القوة والكيان التي قطنت في ديارها عن طريق تشتيت وتهجير ابنائها ولذلك نرى اليهود المنتشرين في معظم بلاد العالم يتصفون بصفات يبعد بعضها عن البعض الاخر من حيث اللغة والاخلاق واللهجات والعادات والى ما هنالك من العناصر التي تتصل باصلاب قوميات الامـــم والتي درست ثم قررت على ضوء الاختبار والقاعدة وبسبب افتقاد الصهاينة هذه العوامل الاساسية التي تتكون منها القوميات ، لا يوجد في العالم من الوجهة الحقوقية امة ، او دولة يهودية ، ولكن القوانين الانسانية الهادفة الى رعاية الانسان ، اعتبرتهم شراذم لها حق العيش فوق صعيد الاقليات المبثوثة تحت كل رايات دول العالم ، ولذلك ان المساعي المعنوية والمادية التي ما فتئت تغدقها الدول الغربية على حكومة تل ابيب ، لن تتمكن من جعلها دولة قومية بالمعنى الدولي ناهيك عن خلوها من دعائم الدولة المعلومة التي اتينا على ذكرها في الفقرات السابقة من هذا البحث

ولهذه الاسباب الجوهرية جميعها يعتبر العرب جميعهم ان اليهودية العالمية ومولودتها حكومة اسرائيل والدول الغربية المساندة لتلك الولادة والمشرفة على

نشوئها ، معتدون على الملكية العربية الموروثة في فلسطين العربية ؛ وبالوقت ذاته يجدون في هذا الاعتداء الغادر عاملا رئيسيا ايقظ نقمتهم الناطقة في اذان ابناء النوع الانساني بان هذا الجزء المغتصب سيعود الى ذويه ان رضي مغتصبوه ام غضبوا ، على حين اننا نعلم بان هذه العودة لن تتم الا بالقوة والقتال

ولعلنا نحو الصواب سائرون اذا ما قلنا بعد ما تقدم من اسهابنا في تبيان فقدان مقومات الدولة القومية من دولة اسرائيل ، على حسب اعتراف الدول الغربية بها بان الثقة العربية التي تخالج نفوس ذويها ستأتي بكل خارقة وعجيب عند ما تدق ساعة المعركة الرهيبة المنتظرة من اجل استرداد فلسطين الى اصحابها الشرعيين ولكي تعود الكرامة العربية بعيدة عن وصمة الانهزام السياسي الدولي

ان كل من الم بحروب الايمان التي وقعت في كثير من بلاد العالم وعاصرته اقطابها من الروائع والمدهشات في مجالات الظفر والانتصار يستطيع هذا الملم ان يعطي رأيا سلبيا وايجابياً بالنسبة للشرق العربي الذي تجني عليه ساسته المسؤولون المائعون والمنقسمون وخائرو العزيمة ، وفي هذه الساعات الرهيبة الفاصلة من المستقبل ستدرك اليهودية العالمية ومولودتها اسرائيل والدول الغربية التي انفقت ما فوق طاقتها من اجل تلك الولادة الجبارة على عموم الحدود الانسانية ، نعم في هذه الساعات المضرجة بدماء الكبرياء القومي سيعلم هؤلاء ان كل محاولة بذلوها في هذا السبيل قد عادت من حيث اتت حاملة الى اصحابها اعباء اعتدائهم واوزار طيشهم ومجاوزتهم نطاق تشريدهم وبعثرتهم هنا وهنالك من شتى بلاد العالم

ان هذا النطاق المضروب على اليهود ، لم يفرض عليهم فرضاً من قبل جهة معينة ، بل جاء وليداً لاحتكارهم واستئثارهم لكبريات المصالح وصغرياتها ولبعثهم المشاكل والاضطرابات وازكاء نيران الفتن بين الامم والشعوب ليتسنى لهم الاستغلال والاستفادة ولو ان الهلاك والمحق احاطا بالبشر جميعهم ؛ وليست هذه النفسية الخبيثة المؤذية المحتكرة المستأثرة جديدة في الصهاينة ، بل هي تمتد الى اكثر من الفي عام ؛ واعتقد بانها هي التي كانت سبباً مباشراً في تقويض ملكهم

وتشريدهم عن بلادهم وهيامهم على وجوههم في بلاد الاغتراب ، واذا ما فكرنا بالتنازل في بحثنا هذا عن خلو حكومة اسرائيل من دعائم الدولة القومية واذا ما فكرنا بالاعتراف بوجود تلك الدعائم المستجدة فيها ؛ فان العدالة تستصوب في كنف قداستها ووقارها ، ان تتكرم الدول الغربية على اليهود المنتشرين في انحاء العالم بمتاع اكثر وسعة وخصابة من فلسطين العربية وذلك من اراضي اوستراليا وغيرها من البلاد القليلة سكانها والفسيحة بمساحاتها واطرافها ؛ اجل لو انها فعلت ذلك لما ارتفع صوت ناكر ولا ضجيج صاخب

واما فكرة تثبيت حكومة اسرائيل في فلسطين العربية بدعوى ان اليهود كانوا مالكيها وحكامها قبل ميلاد السيد المسيح عليه السلام ، فليس بمقدور مدعيها لو احاطوا بالفلسفة من جميع جوانبها ان يلبسوها اية صفة قانونية دولية والدليل على بطلان ادعائهم بحق عودتهم الى ملكيتهم للاراضي الفلسطينيـــة ومزاولتهم لادارتها العامة هو ما اتفق عليه الافاضل المنصفون من العلماء الاجتماعيين الذين قالوا كما اوردنا فيما سبق، ان ثلاثة او اربعماية سنة كافية لايجاد امة فوق ارض ذات حدود معينة ، وايضاً على العكس كافية لازالتها منها بصرف النظر عن شرعية عناصر الطرد او عدمها

ولو ان كل ادعاء من هذا النوع يجوز لصاحبه ان يستفيد منه في المحافل الدولية العادلة ، لما جاز لامة من الامم اكثر من الامة العربية التي فتحت الاندلس « اسبانيا » وحكمتها قرابة الاربعماية عام وساست سكانها بالمحبة والعدل في ظلال امنها اوارف وغذتهم بمبادئ العلوم والفنون حتى هضموا لغة وعموم صفات الامة الفاتحة العادله ، واستعربوا بكل معاني الاستعراب ، ويتضح لكل زائر للبلاد الاسبانية في هذا العصر رغماً عن مضي ما يقرب من الخمسماية سنة على عودتها الى اهلها ، معالم الهندسة المدنية العربية في عمرانها وغيرها من الصفات العربية كالاخلاق والكرم والرجوله والفن الموسيقى ، حتى ان المنصفين من الاسبانيين فاخروا في كثير من المناسبات بانهم يمتون بصلة النسب الى الدم العربي

ولكن ايجوز للعرب ان يطالبوا الاسبانيين بتسليم مقدراتهم العامة ؛ كلا لا يجوز البتة، غير ان هذا البطلان يجوزله كما يرى اليهودية العالمية وابنتها حكومة اسرائيل والدول الغربية (،...) ان يفيد من سنة التطور (ولو عن طريق قتل الانسان البريء وذريته) لينتزع قميص الحق المزعوم بغية الباسه لبطلانه

وعلى كل حال وبعد انتهائنا من سردنا هذا بالبرهنة المعقولة والواقعية لا يوجد في الصراع اليهودي الغربي - العربي قانون ؛ بيد ان الكائن الذي لاريبة فيه ، هو القوة والتضحية اللتان يقبضان على ناصية الحق في كل الظروف ، وقد يتجه الينا بعض اللائمين ليقول : لماذا حملت نفسك عناء الحديث والاستشهاد في دحضك ادعاء اليهود باحقية عودتهم الى بلادهم السابقة منذ الفي عام ، على حين انك تؤمن كما اوردت هنا بان كل قانون لا ينتظر له اي مفعول ، اذا لم يدعم بالقوة

نعم يا لائمي ومعاتبي انت ناعم في فردوس صوابك ، ولكني اعتقد جازماً بانك لن تحول بيني وبين احقيتي في مشاطرتي لنعيمك اذا ما اجبتك قائلا : ان مطلق قانون في عموم العصور الغابرة والحاضرة والقادمة بل ما دامت الامهات يحملن ويلدن ؟ لن يكتب لنصوصه التنفيذ والاجراء اذا لم تكن محمية في ظل البطش والسلطان ، الا ان ارتقاء الفكر الانساني في هذا العصر العظيم بمدنيته والوافر بذوي الفضل والحكمة والانصاف من ابنائه ، اقتضى هذا الفكر قذف الادلة القوية لتتراكم على جنبات بطلان ادعاء اليهود ، ولذلك ان العرب جميعهم يدركون ان القوة وحدها هي التي ستقرر مصيرهم المرتبط بمصير فلسطين

الفصل الخامس

١ ـ ملاحظات عامة ـ ٢ ـ الشركات الاجنبية

١ — ملاحظات عامة

ارى الواجب المصلحي المعقول يستحثني لان اختم فصول هذا الكتاب بتسجيل ملاحظات عامة امام المسؤول الاول عن الدولة السورية

الا ترى يا ابا الدولة ان الحكم فن ورعاية يفرضان عليك في كل امسية تغادر في خلال هنيهاتها دار الحاكمية لتعود الى غرفة راحتك في قصرك ، اولا انت شاعر بواجب التفكير قبل ان تضع رأسك فوق وسادتك ، هل في البلاد متظلم وشاك همّلت دعواه بفضل مداخلة ذوي السطوة والنفوذ من رجال الاقطاع واصحاب الثروات والوجاهات العائلية الذين عودهم في السابق المستعمرون الاتراك والفرنسيون على هذه الاساليب المغايرة لكل وجدان وعدل وانصاف، اولا انت شاعر بواجب استئصال تلك العادة الضارة المؤذية بمصالح السواد من رعيتك ، اولا انت مدرك لما تتركه هذه المداخلات الخصوصية من الآثار السيئة التي ما تفشت في امة من الامم ، الا وكانت النتيجة جائمة في فقدان ثقة المواطن من دولته وحكومته ، واعتقد وانت الراعي الاول اليقظ المؤتمن ، بان جفنك لن يستطيع الرقاد الهني مادامت هذه النقائص المشوهة لسمعة العدالة سارية المفعول دون ان يقف في وجه طغيانها واذاها المختصون من الموظفين في دولتك،وبالبداهة اعلم كما يعلم سراي ان عناصر الالام الموجعات يحطن بعوطن راحتك بسبب الابقاء على تكييف النصوص القانونية وفاقا لشفاعات امثال هؤلاء المصابين بمختلف انواع الاعتلال الاخلاقي العام وتمشياً لنوع آخر .. اخجل من تبيانه ، غير ان ذا الفطنة يعلمه ويرجو مخلصاً ان تقضي عليه وعلى اقرانه مهما كلفك الامر ؛ لانك حين

تسلمت الرئاسة الاولى في دولتك عاهدت مواطنيك امام ربك وضميرك ؛ بانك ستنال مخلصاً يقظاً حازما في بحث وتقرير كل ما له مساس بالمصلحة العامة

واراني يا ايها المسؤول الجليل ؛ في موطن اليقين مقيما حين الفت نظارك في كنف التواضع والاجلال ، الى ان غض الطرف عن صاحب المداخلة المشبوهة وعن الموظف الذي عبث بقيم الامانة التي وضعتها دولته ضمن نياط فؤاده ،سيعقبه اعلان واضح جلي عن استحكام الفوضى برقاب قوانينك وابناء رعيتك ولا شك ان هذا الامر الهام الخطير ؛ هو من المضنيات اذا ما تقدم عارضوه الى مقاييس صفاتك ، ولعلك موطد العزم بعد انسياب هذا اليقين الى قرارة ذهنيتك ، على حماية انظمتك الانسانية من طغيان الموظفين في اسلاك معيتك الذين مكنوا هؤلاء المصابين « بالاعتلالات الخلقية » من عبور طريق الشفاعات وغيرها من الوسائل المعروفة المخجلة

وليس بخاف على فطنتك ، ان القرابات على انواعهـــا ، والصداقات على اختلاف درجاتها ، والامور الاخرى التي لا تغيب اخطارها عن يقظتك ؛ ثم ان تلك الادران الخلقية المعيبة الضارة المؤذية اذا ما قدر لها ان تخالط الحيـاة في ابناء « المدنية الفاضلة » لصاحبها افلاطون ، فان في فردوسها الخيالي - بالنسبة لعظمتها - تغدو الشوائب مستوطنة فوق اطرافها ، ولهذا اذا ما اضنتك واقضت منك مضجعك ، فلانك جانح الى وضع الامور في نصاباتها ، والى صون العدالة من كل معتد اثيم

وبالبداهة ايضاً اعلم كما يعلم سواي من اعضاء دولتك انك حين تأوي الى مقر راحتك من كل عشية تخاطب نفسك في خلوتك قبل ان تلقي برأسك فوق وسادتك ؛ هل في البلاد جائع بسبب هيمنة البطالة ؛ وهل هناك من يشكو شدة البرد من سوء لباسه وسكنه وعيشه ؛ وهل هناك يتيم احاط الظلم به وبالارملة امه وباتا يقتاتان من بقايا الموائد وفتاتها ؛ نعم وهم ينمون على الكرامة والكبرياء الشخصيين بما لا يتفق مع امة اخذت على مسؤولياتك بملء رضائك واختيارك اصلاح شؤونها ورفع مستواها لانك تعلم العلم كله انها كانت في القديم من هـذا

الزمن رمزاً لكل تفوق فكري في مجال النوع الانساني الذي افاد منه وارتقى درجات سلمه الى ان تبوأ مرتبته الانتاجية الكبرى في هذا العصر

ولعلي على اريكة الصواب متكؤ حين اقصدك بجوابي حيال تساؤلك في انفرادك، بانك تقبض على ناصية الجدارة اذا ما ظللت متجهاً بشعورك الايجابي نحو رعيتك. ولكنك يا ايها المخلص الاول في الدولة؛ الا ترى ان المنطق المصلحي المعقول يتطلب منك لان تهيء نفسك لتدفع هذا الشعور الفياض بانسانيته ليقترن بالحقيقة العملية التي اذا ما هبطت ميادين البطالة والجفاف النفسي الذى ينعم في شقائه ذوو الجهالة والطيش والثروات المادية التي اترع جوانبها عفن القدم، اجل اذا ما برزت هذه الحقيقة العملية لنواظر اعضاء دواتك؛ فان نعي الناعين على الكرامة والكبرياء سيعود منكفئاً دون ما رجعة، ولا ريب انك واجد بمنظار نباهتك ان المستويات العامة الراقية التي وعدت بها مواطنيك قد تحققت بفضل عظيم تصرفاتك وحزمك في القاء توجيهاتك على من يتناولون نفقات عيشهم من جيوبهم المدخرة في خزائنك، ومن الانصاف ان تصبح بعد نجاحك في احدى مراحلك الاصلاحية هذه موضع تقدير واكرام بل يجب ان تكون منارة لكل حاكم في اية امة من الامم

وهناك في البلاد جميعها امور قد يراها البعض من الناس من التوافه، غير ان الصفوة المختارة من المفكرين يجدونها من الاهمية بمكان، ولا ريب انك تحتل الصدارة بين مراتبهم الاجتماعية، ولهذا استأذنك النصح والتوجيه على صغر شأني اذا ما قيس بقدرك الاعظم لاقول لك ان السادة المحترمين رؤساء البلديات في جمهوريتك يهملون في كثير من الاوقات طائفة من الواجبات المترتبة على عواتقهم، وقد نجم عنه نقصان في النظافة العامة الذي يبدو لنواظر الذاهبين والآيبين ولا سيما السواح منهم، والجدير بالتنويه مع الاسف الشديد ان هـذا الاهمال لم ينحصر في هذا النطاق وحسب، بل تعداه الى الاسواق العامة حيث يكيف باعتها من كبار التجار وصغارهم ونخص بالذكر منهم اصحاب الحوانيت الصغيرة بوضع اسعار المواد الغذائية وغيرها من الحاجيات والمقتنيات الضرورية

والكمالية دون مراقبة تذكر ، في حين ان الواجب المصلحي الملزمون بتنفيذ مقتضياته بشكل يضع حداً لجشع (وجلافة) هؤلاء الباعة ويصون مصالحهم ومصالح المواطنين جميعهم يشير اليهم لان يتوسعوا بهذا الاجراء في كنف العدالة ويسكبوا نصوص القصاص الذي فوق القرطاس ليطلع الجميع عليها ، ولا ريب ان الحمد والشكر ساعيان اليهم ليقيما حيال اردانهم ، ولا بد في هــذه الحالة التأديبية المشكورة من ان تثور نقمتهم على اصحاب هذه النصوص ومطبقيها ، ولكن ثورتهم هذه هي بمثابة غيوم الصيف التي لا تحمل ضمن اطرافها اي نوع من المخاوف ، وهكذا هي في طريق الذهاب التدريجي الى ان تتحول الى رماد

وقد اصاب الاهمال الآنف الذكر المقاهي وغيرها من الامكنة العامة المعدة لتمضية اوقات الفراغ في جو من التسلية والتفكهة اعتاد الناس ان يرفهوا عن انفسهم في ظله ، غير ان اداراتها وعمال الخدمة فيها تعوزهم مفاهيم الذوق التي اذا ما تسنى لها ان تؤدي وظائفها المدنية المرغوبة فيها ، فان الايناس والراحة هما ملك ايمان روادها ، ومن الصواب ان يفهم ذووها بان امكنتهم المأذونة ليست ملكا لهم ؛ بل هي ملك لكل من يدفع ثمن دخوله اليها بغية المكوث مع بعض اصدقائه ، وبهذه المناسبة الناقدة ارى ضرورة ادخال المطاعم واصحابها مع هذا الرهط من ابناء البلاد الذين لا يفكرون بغير مصالحهم المادية طارحين الذوق جانباً ، وآخذين بوسائل الغش بالاتفاق مع طهاتهم الذين لا يأبهون بالاضرار الصحية التي تحل باجسام المضطرين لتناول وجباتهم اليومية فيها ، هــذه هي الاشياء البارزة لكل ذي عينين في بلاد دولتك التي يعتبرها البسطاء من الصغيرات التافهات ؛ وهي دون ما ريبة مشوهة سمعتك في الداخل والخارج باعتبارك المسؤول الاول ؛ واما الطائشون من ذوي الانحلالات الخلقية المنتشرين في شوارع واحياء مدن الجمهورية ؛ فهم يجهرون على مسمع الدنيا وبصرها باساءاتهم للمجتمع ومخدراته بالقائهم اقبح الكلام وانكره على العابرين والعابرات بعد ان يحط الليل رحاله ؛ حتى ان الكثيرين من ذوي الفضيلة الذين تؤذيهم هذه الظاهرات المستهجنة يضطرون لتغيير اتجاه سيرهم ، وهناك السيدات المخدرات اللاتي تودون

على زيارات اقربائهن واصدقائهن بعد حلول كل امسية يسرن مسرعين على اقدامهن كيلا يرن هؤلاء (الثرثرية) الوقاح الذين يتعمدون القاء بذيء الالفاظ واشنعها في اذانهن

وكن يا ابا الدولة، على كامل اليقين ان استمرار هؤلاء الطائشين المعتدين على الانسانية المهذبة دون ان يمنعهم زاجر ، من شأنه ان يفقد ثقة المهذبين من ابناء قومك بجهاز الشرطة والامن العام الذي اوجدته الدولة الراقية في العالم ليكون حصناً منيعاً يقي الاخلاق القويمة وذويها ولاسيما ذوات العفة والطهر والعفاف فضلا عما عليهم من مسؤوليات اخرى

هذا واقع هذا النفر من الشباب الطائش المستهتر الرديء في كل عشية من عشيات مدينة اللاذقية ؛ واعتقد ان هذه المصيبة الاخلاقية ، هي جائحة في معظم بلاد سوريا العزيزة ، والسبب في مثابرتهم على تلك القبائح هو ترك الحبل لهم على غاربه ، نعم لو ان المديرية العامة للشرطة والامن العام في جمهوريتك نظمت كيفية مراقبة الشوارع والاحياء ووزعت اوامرها على موظفيها ليسجلوا على الدوام تلك الرقابة الصارمة عن طريق المناوبة ؛ لاستطاع القضاء السوري ان يمنعهم بوسائل سجنه وعقابه ، وان يعيد ثقة المواطنين - الضائعة - بالامس الى جهاز الشرطة والامن ؛ وبذلك يشعرون جميعهم بما فيهم مخدراتهم بان جو الشارع في البلاد بات هادئاً وادعا بعد ان ادبت سهام العدالة باقتصاصها هؤلاء الاعقاء بحدود الانسانية الذين « كان » لا هم لهم سوى العبث بها والاعتداء على صادراتهـــا ؛ واري من الصواب ان اسر في اذنيك بان الصحف السيارة في مدينة اللاذقية وفي غيرها من مدن الجمهورية السورية قد عالجت هذه الناحية الهامة واعطتها حقهـا من البحث هادفة الى الفات نظر مديرية الشرطة والامن العام ؛ الا انها لم تظفر باية نتيجة وظل هؤلاء العابثون الوقحون مسترسلين في قذف الفاظهم ذات السيئة الدائمة والقلق المشين بحق المجتمع السوري ، وليس ببعيد عن الاذهان ان اهمال شأنهم سيؤدي الى سريان هذه العدوات المخالفات للاداب العامة الى غيرهم من النشء الجديد الذي يجب على الدولة ان تحفظه من كل سوء

واذا ما استعدتك الى الذاكرة الحافظة (يا ايها المؤتمن على مقدرات قومك وبلادك) لاعوام خلت ليست كثيرة ؛ فلانني ابتغي تذكيرك بما كان المواطنون هنا وهنالك يجنونه من الفوائد المادية عن طريق النظام اللامركزي الذي نعمت به محافظة اللاذقية وغيرها من محافظات الجمهورية ، ولا بد انك فاكر بمقدار من الاعجاب هاتيك الخيرات التي عمت الآلاف الكثيرة من سكان بلادك حين كان هذا النظام مرعي الاجراء في كنف استقلاله الاداري الذي مكن وكلاءك السادة المحافظين من معالجة امور محافظاتهم المحلية على ضوئه في ظل مهابة الدولة حيث انهم استطاعوا ان يبتوا في كثير من الاشياء بعد ان اعطوها ما تستحق من الدراسة ، اجل استطاعوا بفضل هذا النظام المفيد المبارك ان يقوموا باصلاحات في شوارع المدن واحيائها وفي الطرقات التي تربطها مع القرى التابعة لها ، وان يؤدوا مثيلاتها في الصحة والمعارف وفي غيرها من النواحي العامة ولا سيما الاصطياف منها الذي وصل في عهد تنفيذه لدرجة تدعو الارتياح والغبطة ، غير ان النقصان بدا عليها جميعها منذ ان الغي واستبدل بالنظام المركزي الذي تملك حسنة واحدة لا ثانية بعدها ؛ والتي نجدها متجلية في روعة الاندماج التام بين سكان الجمهورية السورية

لا نكران انها حسنة كبرى ليس بمكنة اية دولة راقية ان تتنازل عنها . واعتقد جازما ان عموم الواعين من قاطني محافظات الدولة السورية حريصون عليها كما يحرص الانسان على بقائه الذاتي ، ولكن هذا الحرص الشديد ما كان ولن يكون مانعاً هذا الانسان من التفكير حيال مصالح اقليميته المشروعة هذه » خلافاً للاقليميات الاخرى المترعة بانواع الضرر والاذى »

لعلك يا موزع النظرات الصائبة لا ترى حرجاً في ان نسرد على سمعك وعلى سمع الدنيا وبصرها بعض الامثلة العملية التي يعتبرها العقل المصلحي ادلة قاطعة

عندما كان النظام اللامركزي مطبقاً على محافظة اللاذقية وعلى غيرها من محافظات الجمهورية كانت دائرة اللوازم فيها تبتاع اغراضها وحاجياتها عن طريق الالتزام ، وبالبداهة يتضح لناظريك مدى الفوائد التي كان فريق كبير من

سكانها يقطفون ثمراتها ويؤمنون بسببها نفقات عيشهم مع عائلاتهم واولادهم فضلا عما ادخروه من الارقام المادية التي نفدت بحكم الاضطرار لدفعها الى سوق الملن بعد زوال هذا النظام

هذه حسنة من حسناته الكثيرات في الناحية المادية العملية ، واما حسناته الادارية فهي ذات شأن يذكر كما سنرى؛ان مهمة المحافظين وقوام المقام كانت في عهده تتصف بطابع الحاكمية لان صلاحياتهم في ذلك الحين ساعدت على قذف دفعات الانصاف والخير الى كثيرين من المواطنين ولا سيما الاكفاء من ابناء مناطق نفوذهم الذين املأوا بهم الامكنة الشاغرة في مكاتب الدولة ؛ وعلى تقريرهم احقية المصالح المحلية على ضوء الانظمة العامة المتبعة في اراضي الجمهورية

واما الآن فقد اصبحت صلاحيات اصحاب العطوفة والسعادة محدودة مشلولة بحيث لا تتعدى ابداء ملاحظاتهم على المعاملات مع تحويلها الى العاصمة دمشق التي غدت بأنظار اصحابها (مقبرة المعاملات) بسبب اهمال وتباطي‌ء موظفيها ؛ ممـــا احوجهم الى تحمل اعباء السفر ونفقاته من اجل ملاحقة مصالحهم بانفسهم وقد يضطرون لنفقات اخري لا تمت الى الشرف بشيء رغبة منهم في اختصار مدة هذا السفر ومصاريفه لكي يعودوا الى دوائر اعمالهم التي قد تشكو بسبب غيابهم عنها عدم حرص عمالها على اوقات الدوام

هذا جزء يسير من فضائل النظام اللامركزي الذي مضى على الغائه اعوام قد تجاوز الثمانية

واما قضية دمج هذه المحافظة وغيرهـــا بالعاصمة دمشق فهي من القضايا الهامة التي نعمل الى جانب المفكرين المخلصين العاملين في سبيل تعزيزها ومضاعفة صبرها في بوتقة الدولة السورية التي زقنا من اجلها مرارة السجن مرات عديدة في عهد الاستعمار الفرنسي الزائل ، واذا ما انتابتك ، اواذاما ساورت غيرك من المسؤولين الهواجس من عودة هذا النظام الى سابق فوائده ، فان شعبك الذي ما برحت تذكر لها نضاله وجهاده من اجل الوحدة السورية هو الان اقوي شوكة واصلب عوداً ، ولن تتمكن اية قوة من القوي الرجعية المزذبة ان تحول دون رغائبه وامانيه الوطنية

ومن الثابت الذي لا ريب فيه ان مطلق مواطن من سواد سكان جمهوريتك يذهب في مجال الحرص الاشد على هذا الدمج الوطني الهام لدرجة يري فيهـــا مدينته « حياً من احياء دمشق » في ظلال من الاعتزاز والافتخار

اما وان تبقى صلاحيات ممثليك اصحاب العطوفة والسعادة محصورة في نطاق ابداء الملاحظات والتحويل ؛ واما ان تظل الاصلاحات والانشاءات المحلية والامور الاخرى ولا سيما الطارئات منها معلقة بين دوائر المسؤولين في محافظاتهم، وبين موظفي العاصمة ؛ فان المعتقد السائد يقول : بان العقل المهذب الفاعل في معرض الخير بالنسبة لهذه الامة ، لا يجيز اطلاقاً الابقاء على النظام المركزي ساري المفعول حاملا بين جنبيه شتى الاضرار المادية التي كانت وما انفكت مدعاة لاعلان صخب المواطنين السوريين ، ولهذا تسابق كثير من ذوي الاقلام في حقول صحفهم ودبجوا المقالات الطوال ونحو بلومهم الشديد على الحـــكومات المتعاقبة لكونهم ابطلوا النظام اللامركزي واستبدلوه بعكسه ، واراني ذا كراً فقيد الوطنية العملية واليراع الباحث الجريء نجيب الريس الذي كتب المواضيع الرئيسية المتوالية وهو يطالب فيها المسؤولين الرئيسيين في الدولة باعادة هذا النظام الى عموم محافظاتها ؛ حتى ان خاطري ما زال يرن في اذني بانهم فكروا في احدى فتراتهم الجدية في ضرورة اقراره وتعميمه على السكان بعد ان استقرت في اذانهم استجاباتهم التي انطلقت في ركاب هؤلاء الكتاب المخلصين الصائبين ؛ الا ان الهزات السياسية التي عبرت هذه الديار جعلتهم يغضون ابصارهم عن هذه القضية الهامة ، والان يا ايها الراعي الصالح ؛ وبعد ان اندفعت البرهنة بعد سابقتها على صواب عودته ، وعلى ضرورة ابطال النظام المركزي الذي اثبتت الوقائع سوآته ، الا صعدت الايماءة من قرارة نفسيتك وهي محبذة مفضلة امام ذهنك الاكبر لان تصدر مرسومك النافذ القاضي بالعودة الى الصواب تأسياً بالحكمة القائلة : « العودة عن الخطأ الى الصواب فضيلة » وعندئذ لا مفر لكل فرد من ابنـــاء رعيتك من ان يعفي العاصمة دمشق من اتهامه اياها بالاستئثار بعناصر النفع المادي ، وبالتالي سيشعرون بعدالة رعايتك

في محافظة اللاذقية كما في غيرها من المحافظات السورية مؤسسات عملية اعتمدت في معظم اعمالها التجارية المحلية على اراداتها الآتية عن طريق تقديمها اللوازم لمختلف دوائر ممثلي دولتك لانها كانت تعطي نفقاتها وتقوم باودهم مع من يعيشون في اكنافهم فضلا عن ان بعض ارقام هذه الموارد كانت تستوطن صناديقهم ضمن نظام الادخار احتسابا لطواريء الحياة ومفاجآتها شأن بيوت العمل الحر في عموم بلاد الناس

وهذا دليل آخر اسوقه الى عتبة اخلاصك وهو متجمل بلباس القناعة التامة ؛ نعم اقدمت لاشهر مضت الحكومة اللبنانية الشقيقة على الاخذ بالنظام اللامركزي وامرت بتطبيقه على محافظاتها حيث بفضله غدا محافظوها وقوام مقامها يزاولون صلاحيات الحاكم بالمعنى الصحيح لانها قنعت بصوابه وبافضليته على سواه ، وبالوقت نفسه ارضت مواطنيها الذين اصبحت مصالحهم المحلية تنتقل في طرقها النظامية تحت انظارهم وخففت اعباء المسؤولية عن عاتق الوزير الذي انحصرت صلاحياته ضمن مركز الدولة الرئيسي كما ان المحافظ في هذه البلاد المجاورة الشقيقة بات رخي البال مطمئن الجانب حيث انه تأكد من امتلاكه لحاكميته الي جانب رضائه وامتنانه من رئيس دولته

واستميحك العذر يا ابا الرعية لان اختم هذه الناحية الجليلة من البحث لالقي في اذنيك على سبيل الذكرى النافعة ؛ ان الدساتير والانظمة والقوانين في العالم وضعها الشارعون بعد ان انصتوا الى ايحاء مشاعرهم ذوات الاتصالات الطبيعيه بمشاعر مواطنيهم وعلى هذا الضوء تساءل العقل في هذا المعرض الانساني الرهيب هل سكب الانسان نصوص قانونه بموجب نظارته الى نفسه ،... ثم اجاب على استيضاحه هذا قائلا : نعم ، نعم

ولذلك ان المواطنين في بلاد دولتك يستصرخون وجدانك ويناشدون عدالتك لان تبث فيما بينهم مبادىء انصافك وتجنب مصالحهم المحلية مساوىء النظام المركزي ليعودوا الى بحبوحة الرزق والعيش الذين الفوهما في فردوس النظام اللامركزي

واراني الان متجهاً في حديثي نحو مهمة الصحافة التي اعطاها حقها اذهان المسؤولين في دول الارض كافة وصنفت مرتبتها بالسلطة الرابعة بين سلطاتها حيث ان تلك الاذهان الصافية المنصفة ادركت عظيم مدى اشتغالها من اجل الارتقاء بشؤون اقوامها وحرصت على قدرها باعطاء الاذن للموانع بغية استيطانها فوق جنباته كي تتلق الاخيرة اوصاب الحياة وغدرها لان تلك السلطة الجليلة الحساسة المذواقة تود من صميم فؤادها ان تندفع في شتى الظروف والمناسبات نحو قيامها بواجباتها اذا ما ازدحمت المخاوف والمحاذير ، كما يندفع الاسد الجريح للثأر ممن اضامه وآذاه

واذا ما حاولنا تعداد هذه الواجبات ، فهي كثيرة ومعروفة . ولكننا نستطيع ان نرسمها في هذه الفقرة الوجيزة القائلة : (ان الصحافة اداة نقل وتوجيه بين الحكومة والشعب) ، هذه هي الصحافة الجليلة في البلاد التي يتماسك بعضها مع البعض الاخر في ميادين التربية الاجتماعية ، ثم في حقول مختلف العلوم والفنون

واما في البلاد العربية ؛ واخص بالذكر منها سوريا الجمهورية المستقلة ، فاذا نجد الصحافة فيها غير باعثة على القبول والرضى على حين انها مرآة تنعكس عليها مؤهلات مواطنيها ، بيد ان اعتلالها ليس ببعيد المنال عن العلاج اذا ما وجهت اهتمامك نحوها « يا صاحب السلطة الاولى في الدولة السورية » ، ولعلك واجدها خليقة بعنايتك اكثر من سواها لكونها تمتز برابطة النسب والقرابة في مجال سلطتك الكبرى ، وليس بغائب عن مفهومك العميق ان اي مرض من الامراض اذا ما تمكن الطبيب من معرفة منشأه ، فان سهولة وضع العلاج لمداواة صاحبه هي ملك يمينه

وقد يحبب اليك عظيم فطنتك ان تعديل قانون المطبوعات على ضوء ما وصلت اليه الصحافة العالمية من النضوج والرقي والانتاج في مضامير ؛ الحق ؛ والخير والجمال ، فان الاصاخة لهذا التحبب لا عيب فيه ، بل لا حرج من الاخذ به من كل جانب كعلاج وقتي ، غير ان الشيء الاهم الجدير باوفر قسط من جدك

واجتهادك هو ان تنصت لهذا الاقتراح المتواضع وان تعمل على تنفيذه اذا ما اقتنعت باستقامته

ان ايجاد معهد صحفي في بلادك يتولى ادارته اختصاصي عالمي في شؤون الصحافة مزود لوحده بصلاحية انتقاء اساتذته من ذوي كافة العلوم والفنون وبصورة خاصة مكتسبي المرونة الصحفية منهم ، لان الاخيرين هؤلاء يؤدون واجبات توجيهية ليس بمقدور الاصول الثقافي وحده ان يقوم به ، واما طلاب هذا المعهد ؛ فمن الصواب ان تكون شروط قبولهم واسعة مدروسة من قبل لجنة قوامها مزيج من النوعين المتقدم ذكرهما ، الاختصاص والمرونة ، لان الصحفي بمعناه الصحيح ينبغي ان يكون ذا اطلاع على كل ما له اتصال بالحياة الانسانية من بدايتها الى نهايتها ، واذا ما هدفت الى اعطاء حق الدخول لذوي الاهلية من المشتغلين بحقول الصحافة في الوقت الحاضر في هذا المعهد الذي اقترح احداثه، فانني اجنح الى صقل مواهبهم ببرامجه ، وبالبداهة يقول العقل كلمة بهذا الصدد :

ان فريقاً من الصحفيين الحاليين يتصفون باستعدادات واختبارات بحثية في شتى النواحي الانسانية ، ولهذا يرى حرمانهم من الاستفادة من مواهبهم ومرونتهم شيئاً يدخل في حساب المسؤولية امام الضمير والعدالة ، ولعل فتح هذا المعهد بوجوههم يمكنهم في المستقبل من تقديم خدماتهم لامتهم وبلادهم اكثر من حملة الشهادات الثانوية والتكميلية ، وفضلا عن ذلك ؛ هناك اعباء العيش حيث تعودوا على توفير نفقاتها لديهم عن طريق اقلامهم

واما الذين فرضتهم غفلة الزمن على تلك المهمة العظيمة ، فقد شوهوا سمعتها وحادوا بها عن جادة الاستقامة والارشاد ، وطبيعي اذا ما اعطوا اردأ الصور واقبحها عن مستويات مواطنيهم للامم الخارجية بسبب عدم جدارتهم في مجال تأدية رسالتها الاصلاحية حتى ان بابها غدا فاقداً اصول الحراسة وبات عرضة للدق من قبل الكثيرين الذين لفظتهم ميادين الاعمال الحرة بسبب ارتباك تصرفاتهم او كسلهم وعجزهم ؛ ولهذا لا يجد هذا العقل اي مانع اذا ما قررت ، يا ايها السيد المطلق بارادته ، اقامة السدود بينها وبين هؤلاء الذين لم يهبطوا

ساحاتها الا لوجه الارتزاق متخطين في كثير من الاوقات حـــدود الاخلاق القويمة غير حاسبين لما ينجم عن هذا التجاوز، لكونها حرمت من ذاك الاصول في الرقابة

ولعل نبلك الانساني يشير اليك لان تغدق عليهم من فيض عطفك وايجابيتك في حالة تقريرك منعهم من تصديهم لحدود الصحافة الوقورة ، فلا بأس اذا ماحملت خزانة دولتك ارقاما من الفائض المدخر فيها يعتمدوا عليها من اجل تأسيس عمل يدفع عنهم وعن المسؤولين عن اعالتهم غوائل الجوع والعري وفقدان السكن ؛ واذا ما استصوبت اصدار اوامرك النافذة الى المختصين في دواوين حكمك كي يهيئوا لهم اسباب الاشتغال ليتناولوا لقاءها اجورهم في ظل الانصاف والعدالة ، فهذا وذاك وغيرهما من هذه الامور رهينة بارادتك ، حيث ان الاهم من كل هذه الاشياء ؛ هو ان تصون الصحافة الجليلة من عبث الغرباء عن مقتضياتها ، ولعلك في هذه الاونة الاصلاحية الضرورية ذاكر في عميق فطنتك ان الحقيقة ينبغي ان يحتضنها ذووها لا ان يفرض عليها من يجهلون عناصر تكوينها

بقي لدينا شيء واحد بنسبة ما استوعبته الذاكرة ، نحن الان في طلب العون لاجله من حرصك على كل فرد من رعيتك ليكون لنا مصدر هدي وارشاد نعتمده حين هبوطنا صعيد اصحاب العلوم والفنون كالاطباء والمحامين الذين يؤدي الاولون واجباتهم اليومية في دوائر اعمالهم الخاصة وفي المؤسسات الصحية الحكومية

تعلم كما يعلم غيرنا من الناس ان مهنة الطبابة ذات قداسة انسانية جديرة بكل تقدير واجلال ، ولهذا يلفظ ذووها المحترمون ـ القسم الرهيب ـ على خدمة الانسانية اينما كانت بغض النظر عن اجناسها والوانها حين يخرجون من جامعاتهم متوجين مفارق رؤوسهم باكاليل النجاح ، ولا نكران في ان قسما عنهم حرص وما فتيء يحرص على قسمه وهو مطمئن الفؤاد لكونه ارضى ضميره في حدود خدمته الدائمة للمرضى من ابناء قرابته الانسانية ؛ وهؤلاء الناعمون في ردهات وجداناتهم والمحاطون بابتسامات الرضى من قبل الانسانية العامة يعرفون انفسهم

كما ان مواطنيهم يعرفونهم ويغمرونهم في المناسبات المستوجبة كريم عطفهم وصادق احترامهم ، وكذلك لا نكران ان هذه الصفوة المختارة من ابناء النوع الانساني هي موضع مكافأة من قبل الاله العادل في الدنيا والاخرة لانها بفضل فنونها واختباراتها ابعدت التوجعات والتأوهات المضنيات عن البائس والمعوز اذا ما اصيب باي نوع من الامراض ؛ واما الفريق الاخر من الاطباء فقد اشتهروا بميلهم عن جادة القسم الرهيب ، وراحوا منذ تخرجهم يعملون فوق صعيدهم الانساني بعقول الارتزاق والاتجار والادخار وحسب ، حتى ان اكثر من واحد منهم امتنع عن زيارة المريض في بيته لكونه مصاب بحرمانه من المادة الوهاجة بالنسبة لذوي القحط الانساني

واذا ما كان هذا البائس المريض بحاجة الى اجراء احدى العمليات الجراحية ، فان ماتجود به اكف المحسنين ليس بطاقته ان يغطي نفقاتها ،ولذلك نرى الاعتلال مواصلا صب كيول الهلاك حيال اطراف روحية وهو مسجى على فراش الاحتضار وعائلته المهددة بفاجعة الترمل وفلذات كبده الصغار الحيارى يجثمون حوله ينتظرون بين كل ساعة واخرى فداحة اليتم ويتبادلون النظرات مع والدهم في ثواني رمقه الاخير في جو من الفقر والعوز ، ولسان حال الجميع يقول متسائلا في ظلال الصمت والحيرة والاستهجان اين العدالة ، اين الانسانيون الايجابيون ؛ اين اصحاب القسم الرهيب ، في حين ان الاطباء في البلاد الراقية يسجلون واجباتهم الانسانية في اشد ساعات الليل ظلاما وفي فترات الامطار الغزيرة والثلوج المتراكمة ، اجل في هذا البرد القارس يستجيبون هؤلاء الصناع الامناء على الانسانية لنداءات الاستغاثة من قبل اقرباء المرضى في هاتيك البلاد المقدرة لكل شيء انساني ، واما المقابلات المادية التي يتقاضونها ولا سيما اذا ما كانت هنالك ضرورة للعمليات الجراحية ، فهي عديمة الذكر اذا ما قيست باجور اطباء بلادنا ومستشفياتها الخاصة ، حتى ان بعضهم تبلغ موارده اليومية الى ما بين الخمسماية ليرة سورية والالف ، ولعل انين الفقير المريض الذي يصعد من من ضمن هذه الارقام قد استقر في اذنيك « يا ابا الدولة » ولعلك في حدود

اقتدارك القانوني عامل على الحد من هذا الارتزاق الخطير من بحال الانسانية البائسة المتوجعة

وهناك المحامون المنتشرون في ساحات عدلك فقد شطرهم واقعهم الى شطرين كالاطباء الآنف حديثهم ؛ منهم المؤتمن على قضايا موكليه حيث يعمل فكره من اجل تأمين عناصر النجاح لهم ، والبعض الاخر قد اخذ منه الجشع الرديء مقداره فيأتي على الرشوة المادية يمنة ويسرة غير عابئ بما يخلفه من الاسواء والاضرار اللاحقة بمصالح الذين ائتمنوه عليها ، وفي هذه الحال من الخيانة السرية يعض الندم عليهم بنواجزه وغير ان الوقت قد فات وليس للندم اية نتيجة ، ومن العسير كله ان يتمكن الموكل من اثبات اتفاقه السري مع خصمه ، وكذلك من العسير كله ، ان يستطيع القائمون بالعدل ان يلقوا القبض على الوكيل حين يدفع احد المنافقين لادائه شهادة الكذب لقاء بعض الدراهم ليظفر بناصية الانتصار على الحق القائم في بساطة الوكيل الاخر تارة ؛ وفي فكي نهمه تارة اخرى ؛ وفي هذا الخضم من الامواج الصاخبة الهائجة (نفاق ، بساطة ، جشع) يحاول صاحبه ان ينقذه من ضمن تياراته ؛ ولكن موطن الفع بعيد عنه كبعده الغبراء عن الخضراء ، لان قوة الفهم ومعرفة دخول البيوت من ابوابها قد ابعدا عنه ايضا ؛ واما العلاج الذي من شأنه ان يحول بين هؤلاء .. المتجاوزين نطاق الحق والعداله اشباعاً لغرائزهم الفاسدة الجائرة ؛ وبين تكرار هذا التجاوز الضار ، فهو من صادرات التربية الاجتماعية السليمة التي اتيت على ايضاحها في ماسلف من صفحات هذا الكتاب ؛ الا انني عاجز عن ابداء رأي مفيد بالنسبة لتجارهم هذا .. ولذلك اتوقع من عظيم انتاجك العقلي مايقيم الموانع امام هؤلاء ولو كانت مرتدية الصفة الوقتية وذلك خير من اهمالهم وصرف النظر عنهم كيلا يسترسلون في غيهم وغدرهم في معرض العدالة

٢ — الشركات الاجنبية

كان المواطن السوري في عهد الاستعمار الفرنسي الزائل يوجس خيفة على القضية السورية من وجود الشركات الاجنبية التي اعطيت الاذن باستخدام

رؤوس اموالها في مختلف الوجوه المادية بما فيها البعض من ثرواتها الدفينة في الاراضي السورية ، ولا ريب ان تلك الخيفة هي وليدة حرصه على ابعاد كل ما من شأنه ان يقيم العقبات في طريق الوحدة والاستقلال التامين السوريين في ذلك العهد المندثر الذي كان مترعا بمختلف انواع الضغط والاكراه ؛ وبنسبة هذا الجو الموبوء السائد في ذلك الزمن ، كان طبيعياً ان يخشى السوريون المناضلون من كل شيء يتصف بالاجنبية ؛ وبالاضافة الى ذلك كانت الادارة الفرنسية الزائلة توجه ادارات الشركات الاجنبية الى اهداف تناسبها وتتضارب مع امانيهم ورغائبهم حتى ان الموظفين الذين كانت تحتاجهم لادارة اعمالها في مراكزها الاساسية والفرعية تستشير في كثير من الاحايين حين تود تعيينهم السلطات الفرنسية التي استمرت في وضع ايماءاتها الايجابية على اسم زيد ، والسلبية على اسم عمر .. طوال سريان مفعولها في هذه الديار ، ومن الانصاف ان نقول بان رضوخ هذه الشركات لهذه التصرفات المنافية لابسط مبادئ العدالة ، امر لا بد منه بالنظر لاستظلالها في راية نفوذ ذلك الحاكم الاجنبي ، شأن كل شركة اجنبية حصلت على اذن الاشتغال من مطلق حاكم في بلاد دولته

واما الآن وقد اصبحت سوريا العزيزة تنعم في وحدتها السياسية وحريتها وسيادتها واستقلالها وغدوا ابناؤها يديرون مقدراتهم العامة وفاقا لارادتهم ، فان هذه الشركات الخاضعة الطائعة في ذلك الزمن المستعمر الزائل هي ذاتها من حيث خضوعها وطوعها للقوانين والانظمة المرعية الاجراء المستجدة في هذا العصر الاستقلالي المجيد ؛ في حين ان شعور القائمين على اداراتها قد تبدل بنسبة ابدال النصوص القانونية التي اقتضتها مصالح الوضع السوري الاستقلالي الجديد من الشارعين السوريين ، وهناك التغيير في رجال الادارة وكيفية تصريف الشؤون العامة في الدولة السورية ، قد اوجب دون ما شك في اذهانهم ايضا النباهة التي تتطلبها هذا التطور الكبير الذي اقترن جوه بالاستمرار والذي يعيش في كنفه المواطنون السوريون والاجانب المأذونون في الاقامة المحدودة وفي مزاولتهم لاعمالهم المرخصة ضمن حدود شركاتهم المراقبة ؛ وفي هذا المجال من البحث

الدقيق زي المصلحة السورية العامة جانحة بذويها الى الفات انظار هؤلاء الاجانب المحترمين الى ان كل عمل له شبه مساس بكيـــان بلادهم ؛ اذا ما تأكدوا من صدوره عنهم ، فان رد الفعل وسوء المغبة من حصادهم حيث ان الكيان السورى المستقل هو اثمن شيء في الوجود بنظر الامة السورية التي تقابل المنصف بمثيل من انصافها ؛ والمستقيم بنظر من استقامتها ، والمذوق المقدر لمراحل نضالها الدامي العنيف بمقدار مماثل من ذوقها

ومن الواضح الجلي ان مبادئ الذوق المدني العام يومي الى غرباء من هذا النوع الاجنبي لان يسجلوا خطواتهم في نطاق اعمالهم المرسومة في ارقى بلد من بلاد العالم بوعي واتزان الى جانب قوانينه المرعية الاجراء ؛ حيث ان الحكومة السورية قد تبينت مبدأ الاخذ بفكرة النفع المادي المتبادل واعطت ترخيصها للشركات الاجنبية هذه ، بموجب اتفاقات رسمية لتخرج بعض الكنوز المدفونة في البلاد السورية المستقلة وتفيد منها على ضوء مفاهيم ذوي الاختصاص من موظفيها بعد ان تدفع للخزانة العامة السوريه حصتها المادية المهورة ارقامها من قبل المسؤولين السوريين والمسؤولين من اصحابها الراسماليين

وكما يبدو ان سمعة هذه الشركات الاجنبية التي تتجه الآن بحثنا عن اعمالها بعيدة عن الشبهات ، كما اننا نرجو لها دوام المواظبة على سيرها الموافق لقوانين وانظمة واوامر الدولة السورية، ولهذا سأخص مدراءها وكبار موظفيها بقسط من الثناء كي يشعروا بان هذه الامة تقدر الخير لوجهه وحسب ،

المصرف السوري

مضى على انشاء المصرف السوري في الجمهورية السورية ما يزيد على الثلاثين عاما حيث كان قبل اعلان القطيعة بين سوريا ولبنان يحمل كلمة لبنان لاعتباره مؤسسة اصدارية لنقدي البلدين بدعمها الفرنك الفرنسي ، ولكن بعد ما استقل النقد السوري تحول هذا المصرف الى شركة تملك قدرة مالية تجيز لها مواصلة اصدار نقد البلاد برضاء الحكومة السورية واشرافها ، وهي كثيرة التعامل مع كبار التجار وصغارهم بالنظر للسهولة التي ارادتها مديريته العامة قاعدة لتوظيف اموالها

والجدير بالاشارة مع التقدير ان سعادة مدير هذا المصرف الكبير بطرس بك مقنص فضلا عن انه من كبار رجال المال في الشرق العربي ، فهو مشهور بثقافته العالية وانسانيته المثالية وبوداعته التي اكسبت هذه المؤسسة الاصدارية النقدية ثقة واحترام جميع المواطنين

ان للمصرف السوري فروعا في عموم مدن الجمهورية السورية ويتولى ادارتها مدراء اقليميون يستوحون عقلية مديرهم العام الاستاذ بطرس بك مقنص في الامور الرئيسية التي تستلزم حكمته ونضوجه

ولا بد لنا في هذا الحديث من ان نأتي على الجهود الادارية التي ما برح يبذلها ضمن نطاق منصبه مدير المصرف السوري باللاذقية ادوار بك دهشدارفيان؛ تلك الجهود الموفقة التي تولدها ذهنيته الممتازة في المناسبات التعاملية الدقيقة ، وهو الى جانب مقدرته المالية والادارية متصف بالاستقامة والوفاء والحب للخير العام، واما موظفوه الدائبون على اعمالهم فهم يسترشدون برأيه ونخص بالذكر منهم المدير الثاني السيد جان هلال المشهور بمفاهيمه المالية واخلاقه الفاضلة ، وكذلك من الانصاف ان نذكر مدير هذا المصرف في طرطوس المواطن الفاضل الشاب المهذب السيد جوزيف صالح الذي عرفه مواطنوه اللاذقيون رمزاً لكل اتزان وادارة واداة طيعة لعناصر النفع المتبادل فيما بين هذه المؤسسة المالية والمتعاملين معها ، ولذلك اسندت المديرية العامة بدمشق اليه مديرية المصرف بطرطوس

البنك الجزائري التونسي

بعد ان نشطت اعمال مرفأ اللاذقية في ميادينها الانشائية الفنية ازداد عدد المصارف باللاذقية، وانا الآن في طريقي اليها ذاكراً اوضاعها ومدراءها بالتوالي بادئاً بحضرة مدير البنك الجزائري التونسي الوجيه الشاب المهذب السيد جبرائيل عطاالله الذي كان انتقاؤه لهذا المنصب موفقاً كل التوفيق بالنظر لما اشتهر عنه من كريم الصفات ولا سيما حرصه على الاعمال التجارية في ظل عقله الناضج واما موظفوه اللاقفون المهذبون فهم سائرون في اعمالهم النظامية في ظل ارشاد وتوجيه مديرهم الجديد المحبوب

البنك الافريقي

لعل هذا البنك اكثر انتشاراً من غيره في بلاد العالم وقد احدثت مديريته العامة فرعا لها في مدينة اللاذقية واسندت مديريته الى رجل القانون والادارة الاستاذ المدير السيد نقولا مرقص الذي يصرف شؤون مؤسسته المالية هذه بما عرف عنه من مقدرة حقوقية ومالية وادارية جعلته موضع تقدير المواطنين. واما سكرتيره المهذب الفاضل السيد سمير بدر ، فهو عامل دوماً على تسهيل معاملات الناس وانجازها بالسرعة المطلوبة في جو من اخلاصه ومفاهيمه وتربيته العالية

بنك مصر سوريا لبنان

منذ ان تولى المدير الجديد السيد راسم ذوق ادارة فرع بنك مصر سوريا لبنان باللاذقية ، شعر المواطنون بان قضايا تعاملهم المالي سائرة في طريق خال من العوائق بالنظر لما اتصف به حضرته من الاخلاق القويمة والنظر البعيد القادر على ابعاد الملابسات اذا ما تراكمت امامه المعاملات الدقيقة ، وقد اسبغ على موظفيه المهذبين النشيطين من فائق اقتداره ما جعلهم يوجهون معاملات التجار والمزارعين وسواهم بطرقها النظامية المتبعة في هذه المؤسسة المالية ذات الانتشار في البلاد العربية

بنك الشركة الجزائرية

في عام ١٩٥٤ احدث بنك الشركة الجزائرية فرعاً له باللاذقية وانتقى مديراً له يعد من رجال المال والادارة والاخلاق المستقيمة ؛ نعم ان حضرة هذا المدير الفاضل السيد باسيل فحمه كون وجوده اداة ناعمة مهذبة فيما بين مؤسسته المالية والمتعاملين من التجار والمزارعين معاً ، وقد اكتسب بفضل ادارته وذوقه محبة المواطنين وتقديرهم

شركة الاسفلت باللاذقية

ان شركة الاسفلت باللاذقية قديمة بمأذونيتها الرسمية في الافادة من مادة الاسفلت الموجودة في محافظة اللاذقية ، واما رأسمالها فهو مكون من ماليين شرقيين وعرب وغربيين غير ان مركزها في باريس ، ومنذ ان احيل الى التقاعد

المهندس المدني الكبير سعادة مدير الاشغال العامة سابقاً في اللاذقية الاستاذ صديق بك فهده ، تسلم مديرية هذه الشركة باللاذقية بناء على رغبة مديريتها العامة لانه معروف بصدقه واخلاصه ومركزه الشخصي المحبوب بين المواطنين ،واخذ يصرف شؤونها على ضوء مفاهيمه الهندسية في كنف حكمته وعظيم تصرفاته ، وبالوقت نفسه فهو عامل على الدوام في ظل اخلاصه على حفظ مصلحة بلاده سوريا وعلى صون مصلحة مديريته التي اسندت اليه ، ولا ريب ان سعادة المدير فهده هو من شخصيات البلاد السورية ومفكريها الذين يهدفون دوماً الى خدمة العدالة الانسانية

شركة نفط العراق

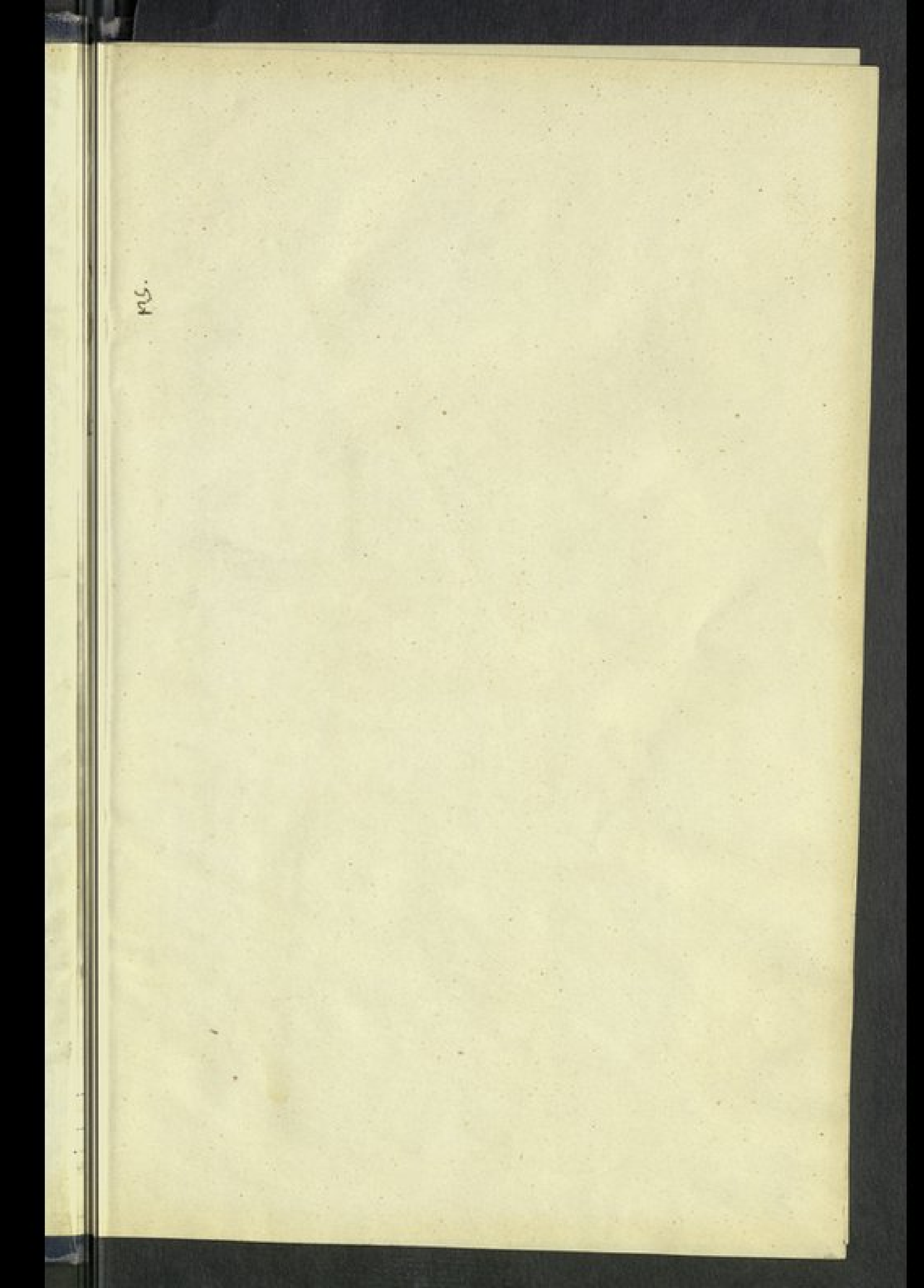
من المعروف ان شركة النفط العراقية عالية لابعد الحدود وينتفع الالاف من ابناء البلاد العربية الموظفون في مكاتبها والعاملون في خطوطها من رواتبهم لقاء ما يبذلون من جهد ، واما مدير علاقاتها في دمشق المستر جيمس شوتر من كبار ذوي العلوم والفنون وقد حدثني عنه العالم الفاضل مدير هذه الشركة في بانياس الاستاذ جورج بك صوايا واسهب بحديثه عن اخلاقه وانسانيته التي تحبب اليه دفع الانصاف في عموم الظروف الى ابناء النوع الانساني ، وقد لمست من خلال حديث الاستاذ صوايا احتراما كبيراً لمدير العلاقات المستر جيمس شوتر ، ومن الحق علي ان اذكر للتاريخ ان سعادة مدير شركة النفط في بانياس الاستاذ صوايا هو من الرجال القلائل الموصوفين بالتهذيب الاجتماعي الرائع الذي جعله ميالا الى تقدير الاشياء الجديرة واعطائها ما تستحق من الاهتمام ، ولذلك فهو يتمتع بمرتبة اجتماعية محترمة بين الناس ، وكنت اود ان اكون عارفاً لما تحتضنـــه الشخصيتان الكبيرتان مدير مكتب دمشق مسلم بك مشنوق وممثل الشركة الاستاذ سليمان بك المدرس من الصفات؛ غير ان العقل يستطيع ان يلم بثقافتيهما العلمية والفنية بعض الالمام عن طريق اسناد هذين المنصبين الكبيرين اليهما ؛ ولذلك يصبح بمقدور هذا العقل ان يقرر مطمئنا الى انهما من رجال الاخلاق والاختصاص والعلوم ؛ وهذا ما جعلني راغباً في ان احظى بشرف الحديث عنهما

شركة تجفيف الغاب

تقوم شركة ترود بنيك اليوغوسلافية في ظل مفاهيم مديرها السيدماركو منذ التزامها بتجفيف الغاب في سوريا مجندة من اجل انجاز هذا المشروع الحيوي الكبير ما لديها من امكانيات فنية متكافأة مع المراحل العملية التي بدأتها من الحين الذي تم فيه توقيع التعهد فيما بينها وبين الحكومة السورية

ومن المعروف ان هذه الشركة تعد في طليعة الشركات العالمية في العالم والجدير بالذكر ان سعادة مديرها هو من كبار رجال الفنون والادارة

وبهذه المناسبة ارى حقاً علي ان اخص المواطن النبيل العالم العامل خريج الجامعة الاميركية في بيروت والمختص بالهندسة المدنية من امريكا الاستاذ احمد بك القواف هو الشخص الثاني في هذه الشركة الفنية الكبيرة ؛ اجل ليس هذا المنصب بكبير اذا ما قيس بنسبة علومه وفنونه وشخصيته المحترمه ؛ ويعرفه مواطنوه وغيرهم من اللبنانين بانه يجنح للجد والنشاط لابعد الحدود ، وفضلا عن ذلك فهو يعتمد على اريكة العدالة في شتى نواحي اعماله ، ومن كان على هذا الغرار من الاخلاق فانه يدق بكلتا يديه باب النجاح ؛ وحبذا لو ان القدر العادل يجود كثيراً بامثاله الافاضل على هذه الامة التى هي بمسيس الحاجة الى وجود اقرانه بين ظهرانيها ، بيد ان هذه الكثرة اذا ما اقترنت بالواقع ، فان قيم الفضيلة تصبح في عداد الآحاد من الاشياء




AMERICAN
UNIVERSITY OF BEIRUT